الدرة الوضية فى توحيد رب البرية

تأليف

نتيجة زمانه وخلاصة اوانه ذى المواهب التى تجلو بانوارها الغياهب والمناقب التى تنحط عن منالها الثواقب صاحب التآليف المفيدة والمآثر العديدة الحميدة ولى الله بلا نزاع ومحدث عصره بالاجماع مورد العلوم العقلية والفنون النقلية سيدنا ومولانا العلامة الكبير

السيد ابى عبد الله محمد الحوت الشهير

عمتنا بركاته وشملتنا نفحاته آمين



قال تاج الادبآ فضيلتلو الشيخ قاسم ابو الحسن فندى الكستى احد تلامذ المؤلف حفظه الله

ان هذا الكتاب تأليف مولىً

ملأ الله بالمعارف صدره

فالمعانى تنظمت فيه عقداً

زينت جيد عصرنا منه درة

قد كان طبع هذا الكتاب المستطاب
الجليل قدره لدى اولى الالباب. بعصر من لياليه بواسم
وايامه مواسم. فخر سلاطين الزمان. وواسطة عقد آل
عثمان. ناشر اعلام اليمن والامان فوق القاصي والدان. محى
البلاد بعدله. والعباد بفضله. مشيد صروح المعارف.
ومؤيد معاهدها بكل تليد وطارف. حتى رتعت الرعية
بايامه السعيده فى رياض العوارف. وتظللت بظله
الوارف. وجنت من ثماره اليانعة انواع العلوم والفنون.
ومن ازهارها الباسقة ماتبتهج به القلوب وتقر العيون.
صاحب الخلافة العظمى. والسلطنة السنية الكبرى عظمة
سيدنا ومولانا السلطان ابن السلطان السلطان الغازى

عبد الحميد

خان الثانى فلازال الوجود مفتخراً بوجوده. رافلا بحلل
فضله وجوده. ولا برحت سعوده مقارنة لافلاك
السما. وكعب كعبه لشفاه أعدائه ملثما
بمنه وكرمه آمين

مقدمة ملتزم الطبع

الحمد لله منزل الكتاب. على من اوتي الحكمة وفصل الخطاب. صلى الله عليه وعلى الآل. والاصحاب. ماطلع هلال. وامطر سحاب. وبعد فقد خلق الله الانسان ولوعا بآثار الغابرين. شغفا باستطلاع ماتركته يد الايام والسنين. وكنت منذ نيطت على التمائم ضاربا من الولع بالشغف بالحظ الاوفر. والقدح الاكبر. منقبا عن شوارد الاسفار. واوابد الآثار. حريصا على ما ركزته بطون الاوراق ان تخيم عليه عناكب النسيان او يخنى عليه الزمان. فتراني نزوعا الى طبع كل اثر لم يبرز الى عالم الطبع. ليعم به النفع. وكان مضى مدة على انتقال صاحب المواهب الباهرة. والمناقب الزاهرة. المولى الكبير. سيدنا ومولانا السيد الشيخ (محمد الحوت) الشهير. وقد وفقني الله تعالى بعد بحث دقيق. وتحقيق عميق. وبذل كل مجاهدة وجهد. للاطلاع على مؤلفاته المقيدة. التي مضى عليها حين من الدهر كان لم تكن شيا مذكورا. بل كادت ان تكون هبا منثورا. تتلاعب بها يد القدم. وتنتابها من نوائب الايام ايدي العدم. فحبا بابرازها لعالم الظهور. ورغبة بالنفع العام. ولعلمي ان العلماء رحمهم الله تعالى. مادونوا علومهم في سطور الطروس. وبطون المجلدات. الا قياما بخدمة العلم والعالم. خدمة باقيه بعد مماتهم. كما كانت في حياتهم. فقد عزمت بعد الاعتماد على توفيقه تعالى على طبع جميع مؤلفاته بالتدريج بهذا النسق البهيج ولما كان شرف العلم بشرف موضوعه وكان من البديهي علم التوحيد اشرف العلوم بالاجماع. وكان من جملة تاليفه قدس الله روحه هذا الكتاب المسمى (بالدرة الوضية في توحيد رب البرية) احببت ان اجعله باكورة العمل. معتقداً بتقديمه بلوغ الامل. وصدرته بترجمة المؤلف من قلم اجل تلامذته الاعلام مولانا صاحب السماحة والفضل والرجاحة الشيخ (عبد الباسط افندي فاخوري) مفتي مدينة بيروت حالا حفظه الله وختمته بعقيدته الفريدة رجاء حسن الختام وفقنا الله لما فيه رضاه بمنه وكرمه آمين الفقير

محمد مصباح الحوت

اتحفنا بهذه الترجمة اكبر تلاميذ المؤلف صدر العلماء العاملين وعمدة
لفضلاء المحققين صاحب السماحة والفضل والرجاحة سيدنا الشيخ

عبد الباسط افندى فاخورى

المعظم مفتى ولاية بيروت الجليلة حفظه الله

سيخنا وعمدتنا وملاذنا وقدوتنا الذى اذا اطلقناه لانعنى سواه هو
شمس المعارف الكبرى وآية الفضائل العظمى قدوة المحققين وعمدة
المدققين وصدر العلماء العاملين والفضلاء الكاملين الامام المحدث
الناسك الزاهد الورع العابد صاحب المواهب الجليلة والمناقب الجزيلة
سيدى السيد ابو عبد الله محمد ابن السيد درويش ابن السيد محمد
الحوت البيروتى مولداً وموطناً الشافعى مذهباً من عائلة تقى وصلاح
ورهط فضل وفلاح نبغ صغيراً وحفظ القرآن وجوده على والدى
رحمه الله تعالى ثم تولع في طلب العلوم والفنون فحفظ الالفية وغالب
المتون وباثنائها حضر من الديار المصرية العالم الربانى الشيخ محمد المسيرى
الاسكندرانى فلازمه شيخنا المترجم واخذ عنه علم التوحيد وشرح
الخلاصة النحوية وغيره ثم سافر الى دمشق الشام تتميما لمرغوبه ورغبة
باكمال مطلوبه فاخذعن اجلاء علمائها الاعلام حسبما ذكرهم لى فى ثبته
وكان اكثر اخذه عن العلامة الشيخ عبد الرحمن الطيبى الشهير بالشافعى
الصغير والشيخ عبد الرحمن الكزبرى كما انه ادرك مسند الديار الشامية
الشيخ محمد الكزبرى واخذ عنه ثم بعد رجوعه الى بيروت اشار
عليه والدى ان يدرس فى الجامع العمرى الكبير رغبة بنفع الخاص
والعام لما شاهد ان كلا من الاهالى ببحار جهله قد عام فاخذ يدرس
فى جوار سيدنا يحيى رجاء منه بان العلم بعد موته ببلدتنا يحيى غير ان
ماكان جرى فى ذلك الزمان بين مفتى البلدة والنائب من القيل والقال
وسؤ الاحوال كان من اعظم المصائب واجسم النوائب على الاهالى
حتى افضاه الامر الى ترك القراءة والتدريس معتذلا فى بيته حينا
من الزمن لم يكن عند قومه شيئا مذكوراً محالفا قلما ومنادما زبورا
الى سنة ست واربعين فانها تغيرت الاحوال وهؤلاء الرجال وعاد الى

التدريس فاشرقت شموس مواهبه التي انجلت بها الغياهب وبزغت انوار مناقبه التي تنحط عنها الثواقب وتفجرت عيون علومه فاشفت العليل وتدفقت ينابيع فنونه فاروت الغليل فشهد بفضله الخاص والعام واحيى قلوب الانام بلفظ كالبحر الزاخر ووعظ كعقود الدر في نحور الحرائر

وله مؤلفات مفيدة ومصنفات فريدة في كافة العلوم والفنون خدم بها الامة خدمة تستلزم الحمد والشكر من كل انسان وهي الكتاب الاول في اسماء رجال الامام البخاري مرتب على حروف الهجاء الثاني في ذكر رتبة الاحاديث التي جردها الامام عبد الرحمن اليمني من السخاوي الثالث في اخبار مأخوذة من كتاب الامام ابي حفص عمر الاندلسي المرسي الرابع في ذكر اسماء الرجال الضعفاء والمتروكين الخامس في بيان الضعيف من احاديث الجامع الصغير السادس رسالة مشتملة على اخبار موضوعه السابع في احاديث تتعلق باحكام مختلفة الثامن في منثورات فقهية التاسع حاشية ابن حجر للاربعين العاشر في المعفوات الحادي عشر في الميراث الثاني عشر شرح بانت سعاد مطول الثالث عشر موجز الرابع عشر في امر يزيد الخامس عشر في البيان السادس عشر في الاسناد والاشتقاق السابع عشر حاشية على شرح الاخضري للسلم الثامن عشر كتاب يحتوي على بعض الكلمات العربية التي يحتاج اليها كل طالب علم لدورانها في الكلام التاسع عشر رسالة في الحساب العشرون رسالة في علم الفلك والحادي والعشرون في تاريخ الصحابة الثاني والعشرون في شرح بيتي الموصلي الثالث والعشرون كتاب في التوحيد اسمه « الدرة الوضية في توحيد رب البرية » والرابعة والعشرون رسالة بخلق الافعال والخامسة والعشرون عقيدته التي املاها علي في جلسة واحدة قدس الله سره ونفعنا به في الدنيا والاخرة

وقد اعتنى احد افراد عائلته الكريمة الشاب الاديب السيد محمد مصباح افندي الحوت بطبع الدرة والحقها برسالة خلق الافعال وختمها

بالعقيدة السنية رغبة بنفع العام وفقه الله لما فيه رضاه

وله نظم رائق لم نعثر الا على اليسير منه هذا التخميس النفيس للبيتين المشهورين عن لسان الحكمة

اذا رمت من بحر المعارف رشفة فلذ بجنان الحق لاتله طرفة
يناديك رب العرش منا ورافة تذكر جميلي مذ خلقتك نطفة
ولاتنس تصويري لذاتك في الحشا

تقلب في الارحام طوراً لايمن وتسقى ذلالا من سلافة معدن
خلقتك اطواراً بسمع واعين فسلم الي الامر واعلم بانني
ادبر احكامي وافعل ماشا

وله تشطير هذين البيتين المشهورين

ومن عجب ان الصوارم والقنا وحي كل حرب في الفلاة تدور
ولم ار من عيب بهاغير انها تحيض بايدي القوم وهي ذكور
واعجب من ذا انها في اكفهم تميل لها الارواح وهي تمور
كآل رسول الله اضحت سيوفهم تؤجج ناراً والاكف بحور

وكان مولده قدس سره سنة تسع ومائتين والف من الهجرة النبوية وفي ليلة الاربعاء لسبع ليال خلت من شهر ذي الحجة الحرام من سنة ست وسبعين ومايتين والف قضى نحبه ولقى على احسن الحالات ربه وصلى عليه الظهر في الجامع العمري الكبير ودفن بتربة الباشوره في مشهد شهده الكبير والصغير والامير والحقير ولم انظر له نظيراً لمااحتواه من الجموع على اختلاف الملل وتباين النحل فكان ذلك دليلا بينا وبرهانا ساطعا على اعتبار العموم له واعترافهم بتقواه وفضله

وقد نزل على الامة بفقد هذا الامام الجليل خطب عظيم ومصاب جسيم ورزأ كبير بيوم كان شره مستطيرا وقامت شعراء عصره وفضلائه على منابر نعيه ورثائه مقام نواعيه ونوادبه معددين آثاره ومناقبه

فقال العالم الفاضل والشاعر الشهير الشيخ قاسم افندي الكستي في رثاء شيخه

اقيموا فروض الصبر واغتنموا الاجرا على حوت علم البحر الدمع قداجرى
هو المرشد الحبر المسمى محمداً ومن هو بالعرفان من غيره أدرى

بمسراه ودعنا الفضائل كلها ونادى لسان الحال سبحان من اسرى

ومنها

امام بكنز الذهد كان خبيئة ومع زهده بالفضل يستخدم الدهرا
وكان له حب الشريعة مذهبا وفى متجر التوحيد قد اتفق العمرا

رثاه العلامة النحرير الشيخ ابراهيم افندى الاحدب وصاحب الفضيلة السيد حسين افندى بيهم والفضلاء الشيخ محمود افندى الشهال الطرابلسى والشيخ محمود الحماسى النابلسى والشاعر الشهير الشيخ ناصيف اليازجى العيسوى وكان طيب الله ثراه طويل القامة ابيض اللون خفيف اللحية واسع الجبين له نفس زكية لاتعرف الكبر وهمة تنحط عنها الثريا قوى الحجة ثابت الجاش له لفظ اغلا من الدر اذا قال رايت بحراً ذاخراً لكنه عذب فرات وخلاصة القول انه عاش كريما ومات عظيما ومرقده الشريف للآن هو مقصد الزوار وبركاته الكثيرة اشهر من الشمس فى رابعة النهار واذا اردنا بيان مزاياه الحسان ومآثره المأثوره واعماله المشكوره وكراماته الباهره ومناقبه الذاهره لضاقت بها هذه الوريقات وفضله الاوفر هو اكبر من ان يحيطه حد او يحصيه عد

اذا زان قوما بالمناقب واصف ذكرنا له فضلا يزين المناقبا

واعقب شيخنا نور الله ضريحه عقبا كريما وذرية صالحه وهما العالم الفاضل الشيخ محمد افندى والمحقق الكامل الشيخ عبد الرحمن افندى وكلاهما قد اقتفيا آثر والدهما ونهجا مناهجه القويمة بالعلم والعمل الصالح وقاما مقامة بامامة الظهر والعصر فى الجامع العمرى الكبير كما قام الشيخ عبد الرحمن افندى بامر التدريس احسن قيام فانه لم يدع فرصة تمر من اوقاته الاوله بها درس خاص او عام وله ايادى مشكوره بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والسعى وراء كل مقصد خيرى مما عاد عليه بالاجر الجزيل والذكر الجميل والثناء المخلد وفقنا الله لما فيه رضاه بحرمة حبيبه ومصطفاه

الفقير
مفتى مدينه بيروت
عبد الباسط



الدرة الوضية في توحيد رب البرية

تأليف

نتيجة زمانه وخلاصة اوانه ذي المواهب التي تجلو بانوارها الغياهب والمناقب التي تنحط عن منالها الثواقب صاحب التآليف المفيدة والمآثر العديدة الحميدة ولي الله بلا نزاع ومحدث عصره بالاجماع مورد العلوم العقلية والفنون النقلية سيدنا ومولانا العلامة الكبير السيد ابي عبد الله محمد بن درويش الحوت الشهير عمتنا بركاته وشملتنا نفحاته آمين

قال تاج الادبآ فضيلتلو الشيخ قاسم ابو الحسن افندي الكستي احد تلاميذ المؤلف حفظه الله

ان هذا الكتاب تأليف مولىً
ملأ الله بالمعارف صدره
فالمعاني تنظمت فيه عقدا
زينت جيد عصرنا منه دره

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالايجاد والاعدام . المتوحد بالتأثير والابداع وخلق الأعراض والاجسام . المنزه عن الحلول والاتحاد بشئ غيره من جميع الاجرام . القاهر فوق عباده . المنعم على اهل وداده . المتفضل بارشاده . فلا وجوب عليه ولا الزام . الذى ابدع بلا مثال . واتصف بكل كمال . وقدر الارزاق والآجال . ودبر الليالى والايام . المحيط علماً بالكليات والجزئيات . المتصرف بالعلويات والسفليات . المهيمن على جميع الجهات . فلا حصر له تعالى بخاص ولا عام . الذى تنزه عن الكيف والكم . وعن الفرح والحزن والنم . وعن الالم والذوق والشم . وتردى بالكبرياء لعظمة على الدوام . المتعالى عن الاين . المتحجب عن رؤية العين . المحسن بكشف الغطاء يوم رفع الرين . ليراه المحبون للاعزاز والاكرام . فسبحان من تنزه عن الادراك . وتعاظم

عن الاشراك . وتحجب عن الرسل والاملاك . فاستوى فى الحجب عن حقيقته جميع الانام . احمد من قدر الامور فى القدم . واخرج الكائنات من العدم . وقضى وامر وحكم . واتصف بالقدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام . وتعالى عن المكافئة والمماثلة . وعن المشابهة والمشاكلة . وعن المضاهات والمعادلة . ليس كمثله شيء فلا تتخيله الاوهام . واصلى واسلم على رسوله الاعظم . ونبيه الاكرم . وخليله الافخم . الذى رقاه لاعلى مقام . سيدنا محمد المصطفى . وآله وصحبه اولى الوفا . وعترته الكرام الشرفا . المحفوظين من الاصرار على الاثام . متعنا الله باتباعه . وجعلنا من اتباعه . واحيانا على سنته . واماتنا على ملته . وجعلنا من حزبه المفلحين . ومن اصحاب اليمين . يوم تميز الرسل عن غيرهم بالمنابر والاعلام . صلاة يفوق نشرها . ويفوح عطرها . ويدوم برها . ويستمد منها بركات ذى الجلال والاكرام

وبعد فهذه درة نفيسة فى علم التوحيد لا على طريقة الجدل ولا مدخل فيها للخلل وهى لنفع المبتدى ان شاء الله تعالى

اعلم هداك الله وبصرك فى آلائه ان هذا العالم علامة على خالقه وان كل اثر يرشد الى مؤثره قال تعالى : « وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم » وقال تعالى « أولم ينظروا فى ملكوت

السموات والارض وما خلق الله من شيء » وقال تعالى « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات » وقال تعالى « ولئن سألتهم من خلق اسموات والارض ليقولن الله » وقال تعالى « ان الذى احياها لمحيى الموتى انه على كل شيء قدير » وقال تعالى « وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب » الآية وقال تعالى « هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه » وقال تعالى « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » وقال تعالى « افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت » الآية وقال تعالى « واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا » الآية وقال تعالى « الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » الآية وقال تعالى « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ومعناه الا يعلم الخالق ما يخلقه او الا يعلم هو من خلقه وقال تعالى « افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون » وقال تعالى « وخلق كل شيء فقدره تقديرا » وقال تعالى » والله خلقكم وما تعملون » وقال تعالى « وما تشاؤن الا ان يشاء الله » وقال تعالى « يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » الآية وقال تعالى « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وقال تعالى « قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لا بتغوا

الى ذى العرش سبيلا » وقال تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان
معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض»
الاية وقال تعالى « واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون » وقال تعالى « ان كل من فى السموات
والارض الا آتى الرحمن عبدا » وقال تعالى « وهو الذى فى
السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم » اى هو معبود فيهما
وقال تعالى « قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين »
وقال تعالى « ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده » وقال تعالى « قل ارايتم ان جعل
الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بضياء
افلا تسمعون » الآيات وقال تعالى « وله ماسكن فى الليل والنهار
وهو السميع العليم » وقال تعالى حكاية عن ابراهيم « الذى خلقنى
فهو يهدين » الآية وقال حكاية عن موسى « كلا ان معى ربى
سيهدين » وقال تعالى حكاية عن عيسى « ان تعذبهم فانهم عبادك »
الاية وقال حكاية عن آدم وحواء « قالا ربنا ظلمنا انفسنا » الآية
وقال حكاية عن يونس « فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت »
الآية وقال حكاية عن يعقوب { انما اشكو بثى وحزنى الى الله }
وقال حكاية عن ايوب { انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين } وقال

حكاية عن شعيب { وما توفيق الا بالله } وقال لنبيه محمد صلى الله
عليه وعليهم اجمعين { قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا
وعلى الله فليتوكل المؤمنون } ولما تعلل اهل مكة بالخوف لو امنوا
رد عليهم بما يدل على سعة علمه وبديع حكمه وعظيم قدرته قال
تعالى { وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا او لم نمكن
لهم حرماً امناً يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم
لا يعلمون } وقال تعالى { جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس
والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما فى
السموات وما فى الارض وان الله بكل شيء عليم } وقال تعالى
{ والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون } وقال تعالى { قل
افرايتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن
كاشفات ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى
الله عليه يتوكل المتوكلون } وقال تعالى { وما بكم من نعمة فمن الله
وقال تعالى { وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم
القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون }
اذا تاملت ما فى هذه الآيات البينات من الاسرار ونظرت ما فيها من
سواطع الانوار وما تضمنته من الدلالة على مالك الملك والملكوت

أغناك ذلك عن النظر بغير كتابه فان من لم يكن هداه من قبله تعالى لا ينفعه براهين عقله قال تعالى ﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ فعليك اخي بكتاب الله تعالى فانه مشحون بالتوحيد وهو الدليل القاطع واعلم ان العقل لا يستقل بنفسه في الدلالة على الصانع المدبر وان اتسع فهمه وتعاظم علمه بل لا بد معه من معونة الله تعالى مع مقارنة اتباع الكتب المنزلة والا ضاع سعيه وقد ركب متن عمياء وخبط خبط عشواء وهوى في المهاوي المهلكة وهو لا يشعر فكتاب الله تعالى هو حبل الله المتين من تمسك به اوصله اليه ودله عليه بواسطة الالطاف الالهية فانه تعالى جعله طريق الهدى والسبيل المنجي من الردى متعنا الله باتباعه ﴿واعلم﴾ انه اذا ورد نصان ظاهرهما تناقض فلا بد من جمع بينهما لتعمل بهما ولا تفرق بين آياته الا اذا ورد نص ينسخ المتأخر للمتقدم فيكون العمل بالاخير والنسخ لا يكون في امر يتعلق بالاعتقاد بل هو خاص بعلم الفروع كصلاة وصوم وحج ونحوها وكذا لا يكون النسخ في الخبر اذا كان المقصود منه الاخبار واما اذا كان خبراً يراد به امر او نهي فيدخله نسخ لان المراد به الحكم دون الخبر اما الخبر المحض فلا يتعلق به نسخ لانه لو نسخ للزم كذب في خبره تعالى وهو محال فالنسخ يتعلق بالاحكام

فقط فافهم ذلك . فبناء على ماتقرر من وجوب الجمع بين النصوص فاذا سمعت قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » وقوله تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » وقوله تعالى « وهو القاهر فوق عباده » مع قوله تعالى « فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان » ومع قوله تعالى « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » ومع قوله تعالى « وهو معكم اينما كنتم » ومع قوله تعالى «كلا ان معى ربى سيهدين » ومع قوله تعالى ﴿ اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ﴾ ومع قوله تعالى ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ﴾ الآية . وجب عليك الجمع بين ما ظاهره الجهات فيحمل ذلك على المجاز لتعذر الحقيقة بالمناقضة فان كنت واسع القلب فسيح الصدر عظيم الذوق والادراك رددت علم جميع ذلك له تعالى ونزهته عن المعنى الحسى المفهوم من ظاهر الرأى كما كان عليه قرن الصحابة ومن تبعهم باحسان وهذا المذهب الاسلم والطريق الاقوم وان كنت لست من فرسان هذا الميدان فارجع الى التأويل كما عليه ائمة معتبرون وهم من جاء بعد القرون الثلاثة تقريباً لفهم القاصر وتطميناً لقلبه دفعاً للخواطر وقد اول الخلف الاستواء بالقهر والاستيلاء على العرش وما دونه من الخلق كلهم فهو فوق العرش بقهره ورحمانيته وكبريائه

وعظمته منزه عن الاستقرار والجلوس ونحوهما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

فاراد انه استولى عليه دون استقر . ولما فهمت اليهود من مثل هذه الآية فى التوراة ان المراد الاستقرار الحسى قالوا انه تعالى تعب من خلق السموات والارض فى ستة ايام فلما فرغ استلقى يوم السبت على العرش واتخذوه عيداً وراحة وهذا من شؤم فهمهم كما فهم مثل فهمهم جماعة من الحنابلة المتأخرين فوقعوا فى ورطة التجسيم وحملهم على ذلك ان سيدنا الامام احمد يمنع التأويل فياليتهم حيث قلدوه فى منع التأويل كانوا قلدوه فى وجوب التنزيه لكنهم تبعوه فى بعض وخالفوه فى بعض قال الشاعر { حفظت شيئاً وغابت عنك اشياء } متعنا الله باتباع كتابه العزيز وحمانا مما يوقع فى الهوى

والتأويل مذهب المعتزلة ولا يلزم من كونه مذهب المعتزلة ان يكون ممنوعا فانه جرى عليه كثير من اهل السنة من المذاهب الاربعة مع ان الائمة كلهم من السلف . لا من الخلف . ومذهب السلف اسلم ومذهب الخلف احكم . وقد سئل سيدنا الامام مالك رضى الله عنه عن الاستواء فاجاب بقوله الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا .

وسئل سيدنا الامام الشافعي رضي الله عنه فقال آمنت بالله واتهمت نفسي وسئل سيدنا الامام احمد رضي الله عنه فقال الاستواء كما يقول لا كما يخطر في العقول . فكل منهم اجاب بالتسليم ومن اين لنا قلوب مثل هذه القلوب المملوءة بالانوار ويؤول القرب والمعية بقرب الرحمة والتصرف كل شيء بحسبه

وقد أُولت اليد بالقدرة وقد جاء في كلام العرب اليد بمعنى النعمة وبمعنى القوة واوّل الوجه بالذات او بالوجود والجانب بمعنى الحق والفوقية بمعنى التعالي في العظمة والعين بالحفظ والمعية بمعنى معية العلم او معية الحفظ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فهذه الآية قاطعة في منع المشابهة لشيء من الاشياء لان الشيء واقعٍ في سياق النفي وهو نكرة تعم فلا يبقى شيء فليس له شبيه اصلاً

ثم انهم اختلفوا في هذا التركيب من حيث العربية فقيل ان الكاف مزيدة لدخولها على لفظ مثل والكاف بمعنى مثل وقيل الكاف اصلية ومثل مقحم اى مزيد وقيل المثل بمعنى الصفة ولا زيادة والمعنى ليس كصفته شيء على حد قوله تعالى « وله المثل الاعلى » فسر بالصفة العليا واما قول من قال ليس مثل مثله شيء وهو ابلغ في نفي المثل فليس بجيد اذ ذلك يثبت المثل والقصد نفيه

وحينئذ يجب الجمع بين هذه الآية وبين النصوص التى فى معناها حدوث وتغير كالغضب والعجب والمحبة والرحمة والضحك فيؤول كل لفظ من هذه الالفاظ بعاقبته ومآله فعاقبة الغضب الانتقام وعاقبة العجب الرضى وعاقبة المحبة الرضى والاثابة وعاقبة الرحمة الاحسان وعاقبة الضحك الرضى

سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن آيات من كتاب الله تعالى ظاهرها شبه التعارض كقوله تعالى { فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون } مع قوله تعالى { فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان } الآية وعن قوله تعالى { ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً } وكقوله تعالى { هذا يوم لا ينطقون } الآية مع قوله تعالى { واقبل بعضهم على بعض يتسائلون } ومع قوله تعالى { واذ يتحاجون فى النار } الآية وقوله تعالى { اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم } وما اشبه ذلك من الآيات فقال للسائل هون عليك فان القيامة مواقف شتى ومعناه انهم بحسب المواقف يكون الجمع بين الآيات ففى موقف يسئلون ويتكلمون وفى موقف آخر يمنعون من ذلك وحينئذ فلا تناقض فى خبره تعالى اذ الجمع واجب . فان قيل كيف جوز الخلف التأويل مع قوله تعالى { فاما الذين فى قلوبهم زيغ

فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله } مع ان السلف كانوا يتعمدون الوقف على لفظ الجلالة فالجواب عنه ان المذموم تتبع المتشابه لقصد وقوع الناس فى الفتنة والريب والشك بخلاف من اوّل المتشابه عند الحاجة للتأويل لاصلاح الحال ودفع الشبه عمن لا يقدر على التسليم فليس ذلك لطلب الفتنة بل لدفعها عن الناس وقد قال تعالى { والله يعلم المفسد من المصلح } وفى السنة انما الاعمال بالنيات والجواب عن وقوف السلف على لفظ الجلالة انما كان بحسب علومهم وقوة ايمانهم فلا يرغبون التأويل ولا حاجة لهم به وقد وقف من بعدهم على قوله تعالى { والراسخون فى العلم } ثم يبتدئون بقوله تعالى { يقولون آمنا به كل من عند ربنا } اى كل من المتشابه والمحكم من عند الله يجب به الايمان وايضاً فمن جوز تأويل المتشابه لا يجزم بان هذا هو مراد الله تعالى بل لايجوز ذلك لان القرآن له ظهر وبطن وانما هو تقريب للفهم مع جواز غيره وهذا فى كل تأويل لانه قد يكون للآية جملة من المعانى لان الحق تعالى محيط بما يتضمنه كل كلام وما يصلح له انتهى

اذا علم ما تقرر فاعلم انه يجب على كل مكلف معرفته تعالى لقوله تعالى « فاعلم انه لا اله الا الله » فالمعرفة فرض عين على كل

مكلف وهو البالغ العاقل والمعرفة هي جزم القلب الموافق للحق عن دليل فلا يكفي الظن في امر التوحيد لقوله تعالى « وان الظن لا يغني من الحق شيئاً » فلا بد من عقد القلب ولذلك سمي اعتقاداً وعقداً كانه ربط قلبه بذلك الامر وعقده عليه والعرب تسمي الامر المحتم عقداً ومنه قوله تعالى « ولا تعزموا عقدة النكاح » قال الشاعر

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم   شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وهذا العقد لا بد ان يتقدمه نظر في المصنوعات ليستدل على خالقها ولذا اختلفوا في اول واجب فقيل معرفة الله وقيل النظر الموصل للمعرفة واختلفوا في ايمان المقلد والمشهور صحة ايمانه وكذا المشهور ان ايمان العوام ليس تقليداً بل عن نظر واستدلال لكنهم لا يقدرون على كيفية الدليل ودليلهم مجمل من دون تفصيل وذلك فان الصحابة كانوا لا يسئلون عن الدليل عند اسلامهم لان الايمان والاسلام يتنوران بالممارسة على الاسباب المنتجة لهما والايمان تصديق الرسول بكل ما جاء به من عند الله تعالى بان ينسب النبي الى الصدق في اخباره عن الله تعالى ويمتثل ذلك باطناً والاسلام هو الاستسلام في الظاهر باخذ احكام الشرع بالرضى والقبول وينقاد بظاهره لاحكام الشرع كلها قال تعالى « فلا وربك

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما » فشرط لصحة الايمان الانقياد فى الظاهر والباطن والتسليم ودفع الحرج عن النفس ثم الاسلام والايمان يتغايران لفظاً وهما متلازمان فى نفس الامر لانه لا يوجد مؤمن حقيقة الا وهو مسلم وعكسه بخلاف المنافق فانه مؤمن فى الدنيا فقط لاجل اجراء حكم الاسلام عليه واما فى الآخرة فهو اشد ضرراً ممن اظهر الكفر لان ضرر النفاق فى الدنيا على اهل الاسلام اشد من ضرر الكافر لانا نقاتل الكافر دون المنافق حيث لا نعلم حقيقة امره والكافر حاله ظاهر

ثم اختلفوا فى قدم الايمان وحدوثه والحق حدوثه لانه فعل العبد وان كان بخلق الله تعالى وتقديره لان كل افعال العباد كذلك وكذا اختلفوا فى زيادته ونقصه والمشهور انه يزيد وينقص فى غير الملائكة والانبياء بظهور الادلة والاعمال الصالحة فيشرق فى القلب كالشمس بدون حجاب ومع وجود حجاب . واختلفوا فى قول العبد انا مؤمن ان شاء الله تعالى فمن مانع من ذلك لكون ان تفيد الشك ومن مجيز لان الاشياء لا تقع الا بالمشيئة او نظراً لما يؤول له الامر واتفقوا على جواز ذلك بقصد التبرك باسمه تعالى وهذه مباحث فيها كلام كثير

القاعدة الاولى

من قواعد التوحيد اعتقاد وجود الحق تعالى . الوجود عين ذات الموجود وهى صفة نفسية لا تعقل الذات الا بها ووجوده تعالى من ذاته لا من مادة وعنصر وليس موقوفاً على امر آخر وليس علة لوجود غيره . والوجود نوعان وجود قديم وهو واجب وهو وجود الحق تعالى قال تعالى « ذلك بان الله هو الحق » اى الثابت الموجود المحقق والوجود الثانى وجود جائز ممكن وهو وجود من عداه وذلك كل الاكوان ثم وقع فى كلام المتأخرين من المتصوفين ما لم يتكلم به احد من السلف وهو قولهم بوحدة الوجود وان الوجود واحد وهو وجود الحق تعالى . وهذه العبارة تحتمل معنيين احدهما حق والثانى كفر فلذا وجب الاعراض عن قولها سداً لباب التهمة عن الانسان ودفعاً للشك من الناس فى قائلها ولا يتمسك بمن قالها لانا مقتدون به صلى الله عليه وسلم وباصحابه فسلوك سبيلهم واجب واتباع غيرهم فيما لم يتكلموا فيه خروج عن السلامة ولا يقال فلان معتبر وقد تكلم بها لانا نقول لم نؤمر بالاقتداء به وانما امرنا بالاقتداء بالسلف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا المعتبر ان كان معتبراً عند الله تعالى فلا يضرنا خلافه لانا لم نرد نقصه

وان كان هو غير معتبر عنده تعالى فلا يفيده اعتباره فى الدنيا شيئاً فالرجوع لما عليه السلف سلامة والخوض فى قول غيرهم سبب للندامة . ثم هذا القول المذكور المعبر عنه بوحدة الوجود منهم من اراد به اتحاد الحق بالخلق وانه لا شيء سواه ويقولون الكل هو وانا من اهوى ومن اهوى انا وفى كل شيء له آية تدل على انه عينه . فهذا القول كفر وقد غلب اهله النصارى فانهم خصوا الحلول بعيسى وهؤلاء عمموا فى كل شيء دفع الله شرهم عن الامة وعمهم باللطف والرحمة . ومنهم فريق آخر لم يتوغلوا فى ذلك وارادوا ان وجود الكون من حيث انه لا ينفع ولا يضر فهو كلا وجود فالكون معدوم فى نفسه هالك فانٍ . وهؤلاء فريقان فريق اخذ هذا الفهم بالذوق وغلبة الشهود عليه واستغراقه فى لجج بحار التوحيد وفنائه عن نفسه فضلاً عن غيره فهذا قوله حق ومع ذلك حال الصحابة اتم واكمل لانهم جمعوا بين ما ظهر من الشريعة وما بطن منها كما عليه الرسل ومنهم فريق آخر قد اخذ هذا من الكتب والمشايخ وظن انه علم لفظى ثم توغل فى تلاوة هذه الالفاظ حتى غاب بشهودها عن شهود الحق فربما هانت الشريعة بعينه لما يلتذ به من حلاوة تلك الالفاظ فيقع على ام رأسه حتى يتكلم بما ظاهره ان الشريعة

فى جهة يختص بها اهل الغفلة والحقيقة فى جهة اخرى خص بها اهل العرفان ه الخ ه

اذا فهمت ما تقرر لك من ذلك فاعلم انه تعالى منزه عن الحلول والاتحاد بشئ من الكون وان الخالق تعالى مخالف للخليقة واول من اظهر هذا المذهب ابو سعيد القرمطى من اهل البحرين واتهم به الحلاج فقتل بما تكلم به من هذا المذهب وكان فى القرن الثالث وفعل ابو سعيد هذا واخوه ابو طاهر باهل الايمان من القتل والاغتيال على بلاد الاسلام ما لم يفعله كافر من اهل الحرب حتى بلغ ان ابا طاهر قتل الحجاج بمنى يوم النحر وجعلهم مكان الاضحية وقد عجل الله له العقوبة وانزل الله تعالى عليه وعلى بعض اصحابه بلاء كالطاعون فهلك عن قرب هو وجماعة من جنده بذلك الداء ثم اقتلعوا الحجر الاسود واخذوه لبلادهم فبئس الاعتقاد وبئس المذهب وبقى هذا الاعتقاد وانتشر مع كثير من الناس

ثم اعلم اننا لا نعيب الا القول بوحدة الوجود واما الاشخاص الذين يعبرون عنها ويشيرون اليها ولم نعلم مرادهم بها فانما لا نعيب عليهم الا قولهم واما اعتقادهم فهو موكول لعلم الله تعالى مالم يصرحوا بالمقصود وحينئذ يرد على كل قائل قوله



القاعدة الثانية

القدم

يجب له تعالى القدم فهو قديم ازلى والقدم عبارة عن عدم الاولية او عن عدم سبق الحدوث وذلك انه لا مبدأ لوجوده ولا يدخل فى وجوده زمان ولا مكان فانه السابق على الزمان والمكان وليس القدم بمعنى طول الازمنة كما فى قوله تعالى { حتى عاد كالعرجون القديم } بل معناه كما تقرر وحينئذ يجب اعتقاد حدوث العالم باسره ولا عبرة بقول الفلاسفة القائلين بقدم العناصر وهى الماء والتراب والرياح والنار لانه وان كانت اصلا للحوادث لكنها متغيرة وكل متغير حادث فالقديم حقيقة هو الخالق الموجد لكل شئ قال تعالى { وخلق كل شئ } والعناصر من جملة افراد الشئ فهى حادثة وقد علم مما تقرر انقسام الوجود الى حادث وقديم فالقدم صفة الحق والحدوث صفة الخلق واعلم انه يقع فى تعبير من يتساهل لعبارة انه { صلى الله عليه وسلم } نور من القدم او من الازل او كان نورا من القدم من العماء ونحو هذه العبارات فهذا التعبير باطل مردود على قائله فانه { صلى الله تعالى عليه وسلم } من جملة خلق الله وهو سيدهم والقصد بهذا التعبير تقدم نوره فى الوجود على كل شئ لا مقارنة الازل او العماء الذى هو الازل او الاحدية

فليس لاحد مدخل فى صفات الله تعالى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ وما يرويه اهل القصص من ان موسى سأل ربه منذ كذلك فى الالوهية الخ فهذا كذب محض لأن رسل الله تعالى لايجهلون ما يجب له تعالى وكذا قولهم ابرز الحقيقة المحمدية من محض النور معناه اوجدها نوراً خالصاً لايخالطها شئ من العناصر الاربعة وليس معناه انه استخرج شيئاً من ذاته وجعله نوراً لأنه تعالى منزه عن صفات الحوادث فلا تأخذ بظواهر مثل هذه الكلمات التى تكتب من دون تأمل فمقام الحق لايمثل فافهم

القاعد الثالثة

البقاء

يجب له تعالى صفة البقاء وهى عبارة عن عدم انتهاء الوجود او عبارة عن عدم اختتام الوجود وليس ذلك بمحدود وكل من ثبت قدمه يستحيل عدمه لاستحالة التغير على القديم وهذا بقاء واجب له تعالى واما ماتقرر فى الشريعة من دوام الجنة والنار والعرش واهل الدارين وما فيهما من نعيم وعذاب والحور العين على القول بانهم خلق جديد غير نساء الدنيا والولدان على القول بانهم خلق جديد غير ولدان الدنيا فهذا البقاء جائز فى ذاته يجوز عليه التغير من حالة الى حالة ووجوده تعالى لم يتغير فبقاؤه واجب لذاته لا لغيره

وبقاؤها انما كان لوعد الله ولا يخلف الميعاد ثم نعيم الجنة باق بالاجماع لا ينقطع واما عذاب اهل النار المؤمنين منهم فهذا ينقطع بالاجماع ويدخلون الجنة برحمة الله تعالى واما عذاب اهل الكفر فقيل ينقطع وهو قول شاذ لا يعول عليه لقوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون﴾ وقوله تعالى ﴿كلما خبت زدناهم سعيرا﴾ ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ وقوله تعالى ﴿خالدين فيها مادامت السموات والارض﴾ الارض باقية والسماء وهو العرش باقية واستدلال هؤلاء بقوله تعالى ﴿لابثين فيها احقابا﴾ بان الحقب ثمانون سنة ليس فى محله لانه يجب رجوع معناه الى الآيات الدالة على التأبيد جمعاً بين كلمات الله تعالى وكذا لا دلالة فى حديث يأتى على جهنم زمان ينبت فى قعرها الجرجير لانه ضعيف ولو صح حمل على طبقة الموحدين خاصة لانها هى جهنم عند ذكر اسماء الطبقات فهذا قول مرجوح ولا سيما ان بعض من قال بهذا القول يقول انهم يعذبون مدة ثم يتلذذون بالعذاب كما يلتذ الجعل بالذبل وهذا لا يعقل فان الجعل من اصل نشأته على هذه الطبيعة وكذا السمندل يألف النار بالطبع من اصل نشأته وكذا النعام بخلاف ابن ادم فليس من نشأته اللذة فى النار وعلى الراجح فما الحكمة فى تعذيبهم بدون نهاية الحكمة ان

الكافر يعتقد مايعتقده على الدوام لايتحول عنه ابداً فجعل عذابه ابداً جزاءً وفاقاً اللهم عاملنا بعفوك ولطفك واجرنا من خزيك وعقابك

القاعده الرابعة

مخالفته تعالى للحوادث وهى عبارة عن نفى المماثلة فليس بنار ولا نور ولا روح ولا ريح ولا جسم ولا عرض ولا يتصف بمكان ولا زمان ولا هيئة ولا حركة ولا سكون ولا قيام ولا قعود ولا جهة ولا بعلو ولا بسفل ولا بكونه فوق العالم او تحته ولا يقال كيف هو ولا اين هو ولا ماهو ولا لماذا فعل كذا او حكم بكذا والعمدة فى هذه العقيدة قوله تعالى ﴿ليس كمثله شئ وهو السميع البصير﴾ لايسئل عما يفعل وهم يسئلون ومما يدلك عقلاً على عدم ادراكه وعدم الاحاطة بكنهه انك اذا تأملت فى تدبير روحك لجسمك وانت هى وهى انت وعجزت عن ادراك حقيقتها وعن كيفية تصرفها فى جسمك واين قرارها منك حال نومك ومن اين تأتيك عند يقظتك وكيف يدخلك الالم والفرح والحزن والغضب والحلم واللطف والرحمة وما شاكل ذلك من العوراض وانت جازم بوجودها علمت عظمة الخالق لها والمدبر ثم اذا نظرت الى عدد اصحاب الارواح وتصرفه فيهم كتصرفه فيك وتاملت فى سعة عقلك وادراكك للاشياء وكيف ينمو جسمك ولا تشعر بنموه ولا

تدرى من اين يأتيك الطول والعرض فى اعضاء جسمك وكذلك
كل جسم نام وتأملت فى حواسك وكيف اختص السمع بالاءذن
والبصر بالعين والنطق باللسان والذوق بالحلق والشم بالانف
والادراك بالقلب مع ان كل جسمك فيه لحم وعظم وعصب وتأملت
الرياح وعدم رؤيتها مع تحقق وجودها واختلاف طباعها وتأملت
الماء وايجاده على الدوام واين قراره وخزائنه والمطر والسحاب
والبرق والرعد والنبات وكيفية رزق الخلق وتغذيتهم واخراج ما
يضرهم من فضلاته وغير ذلك مما لا يحيط به عقل علمت وايقنت
بعجزك عن معرفة حقيقته تعالى لأن العجز عن ادراك المصنوع
مع مشاهدته او مشاهدة اثره اعظم دليل على العجز عن ادراك
من صنع ذلك وانه عظيم فوق جميع ذلك ولاجل هذه السعة تاه الخلق
وتكلموا بالكلمات العظيمة كالغزالى قال ليس فى الامكان ابدع مما
كان ليس تعجيزاً للاقدار بل من شدة الاستغراق فى اسرار الكائنات
وكالبسطامى يقول خضت بحرا وقف الانبياء بساحله ولا شك ان
بحر التوحيد بحر لاساحل له وان الانبياء جازوه من دون خوض
فيه لأن الله تعالى ربط قلوبهم به فلا يحتاجون لامر آخر بخلاف
غيرهم لما لم ينالوا مثل نيلهم احتاجوا للخوض فى بحاره فتاهوا فى
تياره وحجبوا عن قراره فسبحان من احاط بكل شئ علماً واحصى

كل شيء عددا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا
واعلم ان بعض اهل الرفض قد مثلوه تعالى بخلقه وذلك انه صح ان
جبريل كان يتمثل بصفة دحية الكلبي وبصفة اعرابي يأتي النبي صلى
الله عليه وسلم بالوحي وتمثل لمريم بشرا سويا كما نطق به الكتاب
العزيز ومع هذه الحالة هو جبريل بعينه لم يتغير عن الملكية قالوا
اذا قدر المخلوق على ان يتطور ويتلون باشكال مختلفة فالخالق القادر
على ذلك اقدر بان يظهر في صورة مخصوصة او في صورة الكون
فجسموا وشبهوا وجوزوا الحلول ومرقوا من الدين كالسهم من
الرمية وقالوا بألوهية علي وجعفر واتسع الخرق معهم الى الفاطميين
فاعتقدوا فيهم الربوبية ولا سيما الحاكم بامر الله منهم فانه توغل في
هذا الشان وهذا جهل عظيم بقياس من ليس له مثل على من له
مثل فان جبريل جسم نوراني حادث يقبل التغير والتنقل والخالق
تعالى ليس له عنصر ولا مادة ولا دل دليل على هذه الدعوة الباطلة
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا واول من ابتدع لهم مذهب
الرفض عبد الله بن السبا كان يهوديا اسلم نفاقا قصدا لادخال
الشبه على اهل الاسلام وقد نال منهم منالا عظيما واول من اظهر
للناس حب علي وتفضيله على الصديق ولما علم علي بحاله نفاه من
الكوفة ثم مازال يزين للناس فضل علي وحبه حتى اوقعهم في بعض

الاصحاب ثم فى ربوبية اهل البيت وكذا حصل نظيره لبعض اهل الاعتزال كالنظام والجاحظ فانهما كانا من غلاة المعتزلة وهم من المجسمين وقد محق الله تعالى اصحاب هؤلاء المذاهب الباطلة وابادهم ومن بقى منهم كتب عليه الذلة وانما بينت لك هذا لتعلم المفسد من المصلح نسأله سبحانه وتعالى ان يحفظنا بحفظه من كل سوء فى الدنيا والآخرة

القاعده الخامسه

قيامه تعالى بنفسه ومعنى ذلك انه تعالى غنى عن موجد يوجده ومخصص يخصصه اى ليس له رب يربيه بل هو رب كل شئ وخالق كل شئ فهو الغنى بذاته عن كل شئ لانه لو كان له موجد لاحتاج موجده لمن يوجده وهكذا حتى يدور الامر ويتسلسل وكلاهما محال قال تعالى ﴿ياايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد﴾ الآية فهو الغنى عن كل شئ واليه يفتقر كل شئ ومن جملة استغنائه انه تعالى ليس صفة يقوم بغيره كما ان البياض والسواد والحركة والسكون قائمات بالاجسام فليس هو بجسم يملاء الفراغ ولا عرض يقوم بغيره كقيام الصفة بموصوفها بل هو الغنى عن كل شئ الذى لا يحتاج لشئ ولا يتكمل بشئ فهو فاعل مختار لا يجب عليه لخلقه شئ بل كل ما يفعله من افعاله بالعباد فهو بالاختيار

وما يلائم العبد فهو من فضله عليه وما لا يلائمه فهو من عدله به لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لا معقب لحكمه ولا راد لما يقضيه في الخلق ولا يفعل شيئاً لغرض او غاية وانما افعاله بالحكمة وكذا احكامه في خلقه كلها مقرونة بالحكمة منها ما يدركه الخلق او بعضهم ومنها لا يعلم سره الا هو فيكون امراً تعبديا كالطهارة بالماء دون غيره والوقوف بعرفة وامثال ذلك وبالجملة فالعبد تحت قهره تعالى وهو القاهر فوق عباده فصفة العبد العجز والجهل والفقر والضعف وصفة الحق تضاد صفة العبد فصفته تعالى الغنى والقدرة والعلم وغيرهما من صفات الكمال قال ابو سعيد الخراز من عرف نفسه عرف ربه وليس هذا حديثاً ومعناه انك اذا عرفت نفسك بالجهل عرفت ربك بالعلم وهكذا بقية الصفات وقول العارفين اذا اراد قربك منه سلب عنك وصفك وكساك من وصفه لتكون اهلاً لخطابه ليس المراد به ان صفة الحق تقوم بالعبد لأن هذا عين الحلول الذى نطق به النصارى وقد حكم الله بكفرهم وانما معناه انه تعالى يطهر العبد من الوصف الذميم كالغضب والبخل ويجمله بآثار صفاته العليه كالحلم والعفو والكرم فافهم ذلك. وقول السيدة عائشة في صفة خلقه كان خلقه صلى الله عليه وسلم القرآن يحلل حلاله ويحرم حرامه اى كان متخلقا باوامر القرآن ونواهيه

وقول بعض العارفين انها تحاشت ان تقول كان متخلقاً باخلاق الله تعالى فقالت ذلك فهذا التعبير غير جميل وان كان يؤول بما تقدم لكن فيه ايهام لفهم من لم يفهم

القاعدة السادسة

الوحدانية

وهى عبارة عن نفى التعدد فى الذات والصفات والافعال فتنفى هذه الصفة الكم المتصل فى الذات والصفات والمنفصل فيهما وفى الافعال وهى غير صفة الاحدية فان الاحدية تدل على تفرد الذات فقط ولا ينظر معها الى الصفات واما الوحدانية فتدل على تفرد الذات مع وصفها بما يليق . والكم عندهم هو التعدد والمقدار فينتفى بالوحدانية التركيب والشريك وهما كمّ متصل ومنفصل وينتفى تعدد الصفة واتصاف غيره بصفته وهما كم متصل ومنفصل وينتفى فعل غيره بمعنى انه لا تأثير لشئ فى شئ من الاكوان وفى هذه المسألة قد اختلف الناس على مذاهب فمذهب الفلاسفة ان الاشياء تؤثر فى بعضها بطبعها وقوتها كالنار فى الحطب والسكين فى الحبل وهذا كفر صريح ومذهب المعتزلة انها تؤثر بقدرة وقوة اوجدها الله فيها ولولا ذلك لم تؤثر وهو فاسد وليس بكفر لانه يلزم منه ان قدرة الله تعالى لا تنفذ فى

ايجاد شي الا بالسبب فيكون مقهوراً محصوراً وهو باطل ويلزم منه تعدد المؤثر ولا يؤثر الا الاله القادر فتكون الآلهة متعددة وانما لم يكفروا بذلك لأن لازم المذهب ليس بمذهب وعلى هذه العقيدة قالوا العبد يخلق افعال نفسه الاختيارية وذلك باطل لقوله تعالى {والله خلقكم وما تعملون وخلق كل شيء فقدره تقديرا} ومذهب البعض ان الاسباب مخلوقة بخلق الله تعالى وهو المؤثر وحده لكن الربط بينها وبين ماقارنها عقلي لازم لا ينفك ابداً بمعنى انه متى وجدت النار مع الحطب حصل الاحراق بقدر الله تعالى وهولاء ينكرون معجزات الرسل بلازم مذهبهم وخرق العادات وهو جهل بما ثبت بالنصوص القطعية كاخماد النار على ابراهيم وفلق البحر لموسى واحياء الموتى لعيسى وان انكروا هذا كفروا لتكذيب كتاب الله تعالى ومذهب اهل السنة متوسط بين هذه المذاهب وهو ان الحق تعالى هو المؤثر ولا يحتاج لسبب وله خرق العادات فهو الفاعل المختار ويوجد المسببات عند وجود الاسباب لا بها فهو المتصرف فى السبب والمسبب وما يقع على ايدى العباد من الافعال فهى مخلوقة له تعالى وليس للعبد فيها ايجاد ولا تأثير الا الكسب وهو الميل الاختيارى كما قال تعالى {لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت} فاثبت للعبد كسباً لا خلقا ورتب عليهم الحكم ثواباً

وعتاباً وادراك سر الكسب وحقيقته امر غامض ولذا ضرب به
المثل فقيل اخفى من كسب الاشعرى والكسب وان كان فهمه
خفياً الا انه تسمية ربانية فيجب الوقوف عندها وذلك من الامور
التعبدية التى لاتدرك ولم يرد نص فى تسميته فعل العباد خلقا
فقول المعتزلة مردود لانهم قد سموه برأيهم فيرد عليهم بعد ان
سماه الله تعالى كسبا كما يرد قول الجبرية بان العبد لاكسب له
اصلا ولا اختيار له فى فعل بل هو كريشة فى الهواء تقلبها الرياح وهو
باطل بعد ان خاطب الله الخلق بافعالهم ومدح منها ماوافق
حكمه وذم منها ماخالفه ورتب الثواب والعقاب على فعل العبد
دون الاقدار فظهر توسط مذهب الاشعرى وغيره من اهل
السنة وكتاب الله حجة لهم قال تعالى { فان تنازعتم فى شىء فردوه
الى الله والرسول } وكذا يرد قول القائلين بتصرف بعض الناس
بطريق الباطن بعد قوله تعالى لاكمل خلقه { ليس لك من الامر
شىء }{ انك لاتهدى من احببت } والعجب كل العجب كيف خصوا
بالتصرف وقد نفى عن اكمل الرسل واعجب من هذا من نبذ
كتاب الله وراء ظهره وتمسك باقوال هولاء وهو يسمع قوله تعالى
{ كتاب الله عليكم } فان الميل عن كتاب الله تعالى قبيح لكنه
من اهل العلم اقبح اذ هم النور الذى يستضاء به فاذا دخلوا فى

الظلام اظلم بهم الكون فعلم مما تقرر ان التصرف لله وحده وان العبد لا يملك من امره شيئاً ولا من امر غيره بالاولى وقد قال تعالى لنبيه ليخبر قومه { قل لا املك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء الآية } فالتوحيد ردّ كل الامر لله تعالى لكن لابد من النظر للاسباب التى نصبها فرفض الاسباب والتوغل فى امر التوحيد خروج عما شرعه لعباده ولا يخفى عليك ان سيد الخلق اعرف بربه من كل احد ومع ذلك حفر الخندق عام الاحزاب وظاهر بين درعين يوم احد وكان يهئ الطعام لعياله ويتزود لاسفاره فافهم ذلك ولا تظن ان التوحيد الكامل فى رفض الاسباب بل هو مع مباشرتها حسب اذن الشارع مع العلم بانه هو نصبها لنا وانه المتصرف فينا وفيها هذا اكمل واتم لانه مقام الرسل الكرام ولا نظر لقول المخالفين ان كل فرقة ممن تقدم ذكره تقول نحن على السنة والجماعة ولا نعلم المحق من المبطل لانا نقول السنة والجماعة ليست مجرد اللفظ وانما هى سلوك طريق الرسول صلى الله عليه وسلم والكتاب والسنة يعلمهما اهلهما فمن اخذ بهما بدون تأويل فاسد يخرجهما عن قانون العربية فهو من اهل السنة ومن اول النصوص برأيه على خلاف ماقاله المفسرون فقد اخطأ

طريق الحق واعلم ان هذه الصفات الخمسة يسمونها صفات السلب لان كل صفة منها تدل على نفى نقيضها والسلب هو النفى

القاعدة السابعة
فى صفات الذات

وهى القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وهى سبعة وتسمى صفات المعانى لانها تدل على امور تدرك فى المخلوق ولها وجود زائد على تحقق الذات فقدرة زيد ظاهرة للناس وكذا علمه ومشيئته ولما كانت ظاهرة فى الحادث لا تنفك عنه سموها صفات الذات وصفات المعانى واضافتها بيانية اى صفات هى المعانى وهذه الصفات السبع نفاها المعتزلة فراراً من تعداد القدماء قالوا لو ثبتت لزم ان يكون الاله مركبا من ثمانية اشياء وقد كفر النصارى بالتثليث فكيف بثمانية وقالوا هو قادر بذاته ومريد بذاته وعالم بذاته وحى بذاته وسميع بذاته وبصير بذاته ومتكلم بذاته وليس له هذه الصفات وجوابه ان المحال انما هو تعدد الذات لا ذات واحدة اتصفت بصفات ومن المعلوم عند كل احد انه لا يقال لزيد عالم الا اذا اتصف بصفة العلم وهكذا وقد دلت النصوص على ثبوت قدرته وعلمه الخ وهذه الصفات الذاتية ليست عين الذات حتى يحصل تركيب ولا غير الذات حتى يحصل

تعدد القدماء قالوا وذلك كالواحد من العشرة لاعينها والاحسن في تمثيله ان علم زيد لاعينه ولا غيره وكذا الباقي فافهم لأن التمثيل بواحد من عشرة يوهم التركيب كما قال به النصارى انه مركب من ثلاثة اقانيم جمع اقنوم بمعنى الصفة وهي العلم والحياة والكلمة وجعلوا عيسى هو الكلمة قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى واحد منها وهذا هو قولهم بالتثليث لعنة الله عليهم وهؤلاء فرقة منهم واعلم ان الصفة الذاتية هي التي لا تقع خبراً عن الاسم فلا يقال زيد علم ولا قدرة والصفة المعبر عنها بالحال من حيث اللفظ كالقادر والعالم فهي وصف للاسم تقول زيد عالم واول صفات الذات في العدد القدرة وهي صفة وجودية قديمة ازلية يؤثر الله بها في الايجاد والاعدام يخرج بها من العدم الى الوجود ومن الوجود الى العدم ولا تتعلق الا بالممكنات الجائزات وهي جميع الخلق فلا تتعلق بالواجب تعالى ولا بالمستحيل كالشريك لانه يلزم على ذلك تحصيل الحاصل اوقلب الحقائق فايجاد واجب الوجود واعدام واجب العدم تحصيل حاصل واعدام الواجب وايجاد المستحيل يوجب قلب حقيقتهما لصيرورتهما حينئذ من جملة الممكن وكل ذلك مستحيل عقلا فبناء على ماتقرر تعلم منع قول من لا يستحيى هل يقدر على خلق الولد فمثل هذا لا يقال فان القدرة لا تتعلق بمستحيل ولا بواجب

واما قوله تعالى { لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين فهى جملة شرطية و نتيجتها لكنا لم نرد فلا يقع ذلك لانه محال واما قوله تعالى { قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين معناه كما قيل لو فرض ذلك كنت اول من يؤمن به او اول عالم بذلك لانه اول الامة علما وعملا لكن هذا العلم لم يكن فليس لله ولد سبحانه عما يقولون. واعلم ان القدرة لها تعلق صلوحى قديم بمعنى انها فى الازل صالحة لكل ممكن ان تتعلق به ولها تعلق حادث تنجيزى وهو عبارة عن ايجاد الشىء بالفعل او اعدامه على وفق الارادة فكل ما اراد الله ايجاده اوجده وكل ما اراد اعدامه اعدمه فلا يخرج عن قدرته ممكن ما اذ لو خرج فرد من الممكنات لكان مستغنيا عن الواحد القهار وذلك محال فالممكن يجوز عليه الوجود والعدم على حد سواء فترجيح احد الطرفين على الآخر لابد له من فاعل مختار { والله خلقكم وما تعملون } واعلم ان حقيقة صفاته تعالى لا تدرك كما ان ذاته لا تدرك وقول العامة انظر لقدرة الله تعالى فذلك اشارة لآثارها من الاكوان كالسماء وما فيها والارض وما عليها وما بينهما وليس المراد حقيقة القدرة فافهم ذلك وكذا يقال فى مثل قول الجزولى وبما حمل كرسيك من قدرتك اى من آثارها وقد ارشدنا سبحانه وتعالى الى هذا بقوله تعالى { فانظر الى آثار رحمة الله كيف يحى الارض

بعد موتها } الآية واعلم انه وقع فى عباراتهم فى مسألة الحساب انه يحاسب الخلق محاسبة واحدة فى وقت واحد وتتسع قدرته تعالى لحساب الخلق وهذه العبارة غير جميلة لان فيها ايهاماً ان قدرته تعالى زاد تأثيرها فى وقت الحساب والقصد بذلك انه يظهر للخلق سعة قدرته تعالى ويكشف لهم الغطاء عن قلوبهم فان تصرفه تعالى فى الكون واحد فى الدنيا والآخرة وحال حياتهم وحال موتهم وقبل ايجادهم وبعده اذ هو الحافظ لهم والممد لهم فى كل حال والحافظ للنطف فى الاصلاب وللتراب فى القبور وللرزق والنمو وجميع التصاريف فالكون المقدر على حاله يتقلب من قدر الى قدر كما قال عمر رضى الله عنه عمن له غنم وامامه واديان ان هبط الخصب كان بقدر الله وان هبط غيره كان بقدره وقال نفرّ من قدر الله الى قدر الله فكيف ما تقلب العبد فهو فى قدر فالامر منه تعالى ورجوعه اليه

{ الصفة الثانية } من المعانى الارادة وهى المشيئة وهى صفة ازلية قديمة يخصص بها تعالى الممكن ببعض ما يجوز عليه. ويجوز على كل ممكن الوجود والعدم والمقادير والالوان والهيئات والجهات والازمنة والامكنة فكون الممكن مخصوصاً ببعض افراد هذه الاشياء دون بعض من آثار مشيئته تعالى لانه فاعل مختار قال تعالى { وربك

يخلق مايشاء ويختار } . { وما تشاؤن الا ان يشاء الله } . { ولو شئنا لرفعناه بها } فكل شيء ينشأ عن ارادته من دون تغيير ولا تبديل والارادة مرتبة عقلاً على العلم . ولها تعلق صلوحي قديم وتنجيزى قديم وتنجيزى حادث وهو مقارنة الموجود لايجاده والمعدوم لاعدامه كما سبق تخصيصه ازلاً

واعلم ان الارادة غير الامر وغير الرضى فليس بينهما تلازم لانه يأمر ويريد كايمان الرسل ولا يريد ولا يأمر كالكفر منهم ويريد ولا يأمر كالمعاصي ويامر ولا يريد كالكفر ممن حتم كفره امره بالايمان ولم يرده منه فلم يقع ولا يقال كيف طلب منه الايمان ولم يرده له وحتم عليه الكفر لانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقد سبق وعده {لاملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين} وقول المعتزلة بالتلازم بين الامر والارادة والرضى مستدلين بقوله تعالى { ولا يرضى لعباده الكفر } وقوله تعالى { قل ان الله لا يامر بالفحشاء} فهو في غير محله لانه لا يرضى لهم الكفر مذهباً وشرعا ولولا انه د لهم الكفر والمعاصي ما وقع ذلك منهم والامر يتعلق بفعل المكلف والارادة ترجع له تعالى لا دخل للمكلف في ارادة الله تعالى . واعلم انه تعالى يفعل بالاختيار لا باكراه ولا بالطبع

{ الصفة الثالثة} من المعاني العلم وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق

بالواجب والجائز والمستحيل لان العلم صفة كشف وتجلى لا صفة تأثير فيعلم ما هو عليه وما يجب له وما يستحيل ويعلم الكون بما فيه تفصيلا ويعلم استحالة الشريك والولد كيف وقد كرر فى كتابه العزيز ادلة توحيده حتى قال { أفمن يخلق كمن لا يخلق } . { ألا يعلم من خلق } . { واحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا } . { وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض } الآية وربما عظم فى عينك هذه الاحاطة فارجع لقوله تعالى { ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة } ولقوله تعالى { وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه } الآية فاعلمنا عن عظمته بتقليل الكون حيث شبهه بقبضة يتصرف فيها قابضها من دون مشقة ولا عناء فسبحان اللطيف الخبير فان اسرار الحق لا يدركها عقل فاطرح نفسك فى بحر فضله واستمد به واستعن به دون غيره واجتهد فى مرضاته فانه يعلمك ما لم تعلمه قال تعالى { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين }

{ الصفة الرابعة } من المعانى الحياة ولا تتعلق بشيء فهو الحى الدائم القيوم الباقى والحياة فى المخلوق مدركة معلومة وحياة الخالق صفة

الله يعلمها وهى عبارة عن الدوام ومن اتصف بالحياة اتصف « بسمع وبصر وكلام» وهذه الصفات الثلاثة تمام السبعة فسمعه يتعلق بكل موجود وكذا بصره وليس سمعه بآلة وجارحة كما ان بصره كذلك فهو منزه عن سمات الخلق وهذه الصفات زائدة على العلم وورد بها النص وهى كمال. والحق يجب له كل كمال. واما كلامه تعالى فقد كثر فيه الكلام لا سيما فى عصر الشافعى رضى الله عنه حتى قال دعونا من علم اذا اخطأ فيه الانسان يقال له كفر وعليكم بعلم اذا اخطأ فيه الانسان يقال له اخطأ ولما كثر الكلام فى صفة كلامه تعالى سموا علم التوحيد علم الكلام قال المعتزلة ان كلامه تعالى مخلوق فهو متكلم بكلام يخلقه وقال جمع يتكلم بحروف قديمة وقال جمع ورق المصحف وجلده ونقشه قديمات وهذا ظاهر البطلان وكذا كون الحروف قديمة لان الحروف لها تكيف وهيئات ومخارج وذلك عين الحدوث وقول المعتزلة مردود بان الله تعالى سمى القرآن العظيم منزلاً فى آيات ولم يسمه مخلوقا فنقف عند تسميته تعالى واما مذهب اهل السنة ان كلامه النفسى القائم به تعالى صفته تتعلق بالواجب والجائز والمستحيل لا حرف لها ولا صوت هو بها آمر ناهٍ مخبر ولا يعلمها الا هو تعالى وحده وان خطابه لموسى وآدم ولمحمد عليهم الصلاة والسلام كخطابه

لنا المسموع من القرآن لان موسى سمعه من الشجرة وهي حادثة والملائكة ياخذون من اللوح وهو حادث والرسول سمع فرضية الصلاة وهي الفاظ حادثة فافهم ولا تظن ان ما قام بالحق يقوم بجبريل كما وهم فيه بعض العلماء وحيث قال كان جبريل يتلقاه تلقياً روحانياً وهو مسلم وروح جبريل حادثة لا يقوم فيها الا شيء حادث . وبالجملة فلا يصل لنا كلامه تعالى الا بواسطة حروف واصوات واما القائم بذاته تعالى هو القديم المنزه عن الحروف والاصوات وما يتبعهما من الكيفيات واما القرآن العظيم والكتب المنزلة من السماء والحديث القدسي والصحف الربانية فكل ذلك كلامه تعالى ثم اطلاق هذا الاسم عليه اما من باب الاشتراك كالعين هي اسم للباصرة وللنابعة او من باب الحقيقة والمجاز كالاسد اسم للسبع حقيقة وللرجل الشجاع مجازاً ولا يجوز اطلاق لفظ الخلق عليها وان قلنا منزلة والتنزيل حدوث لكن يجب الوقوف عند الوارد ثم المنزل ان كان مكتوباً كالتوراة فالمراد ما هو مكتوب وان كان وحياً كالقرآن فانزاله بانزال الملك لان الكلام عرض لا يقوم بنفسه بل بغيره فاطلاق الانزال عليه من اطلاق اسم المحل على الحال واعلم انه لا فرق بين انزل ونزل خلافاً لمن فرق اخذاً من قوله تعالى { انا انزلناه في ليلة القدر } فجعله لما انزل

تدريجاً ومن قوله تعالى { وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة } الآية فخص لفظ نزل لما يكون جملة وهذا غلط لانه لو اختص بالمجمل لما ذكر لفظ جملة مع لفظ نزل وقد قال تعالى { ونزلناه تنزيلا } فهما بمعنى واحد والله اعلم. وقال كثير من العلماء ان اللفظ حادث والمعنى قديم وهذا قول صحيح لكن فهم بعض ان المراد بالمعنى هو تفسير القرآن فقال المعنى فيه قديم كذات الله تعالى وفيه حادث كفرعون وهذا فهم سقيم وانما المراد بالمعنى ماقام بالله تعالى لا ما قام بقلب السامع فان الذى يستقر بقلب السامع كالملفوظ فافهم التعبير . وقال بعض كيف يامر وينهى ويخبر فى الازل وليس هناك من يأتمر وينتهى ويسمع الاخبار وفرق بين الخبر والامر والنهى فجعل الخبر قديماً والامر حادثاً وهذا وهم خفى فان صفة القدرة والحلم والعفو والغفران وغيرها كذلك ليس هناك من تعلق به القدرة وهذه الصفات وانما هذا تعلق صلوحى كما تقدم ثم لم يزل هذا التعلق الى ابراز ذلك الاثر الى ما لم يزل واذا حدثتك نفسك بالاطلاع على حقيقة كلامه فارجع الى كلامك تجد نفسك لا تقدر على ادراكه وهو قائم بك فحينئذ يجب رد العلم له تعالى وترك البحث

{ فائدة } يجب السكوت عند قول القائلين بالتفضيل بين كلام الله

ورسول الله صلى الله عليه وسلم فالبحث في هذا الشان حماقة وجهالة وما ورد ان حرفاً من القرآن خير من محمد وآل بيته هذا لم يصح فالواجب السكوت عن هذا وانت لا تدرك كيفية اكلك وشربك وبولك وألمك وفرحك كيف تخوض في هذا الامر وقد تعذب امم من العلماء على ان يقولوا كلام الله مخلوق والقرآن مخلوق فتحملوا العذاب الشديد من اولاد الرشيد مدة من السنين ولم يقولوا هذه الكلمة وانت تقولها من غير تعب

القاعدة الثامنة

يجب له تعالى سبع صفات يسمونها معنوية نسبة للمعانى وهى ملازمة للسبع السابقة ولذا نسبت اليها وتسمى احوالاً وقيل الحال محال والمراد تسميتها احوالاً باللفظ النحوى لا بالمعنى المنتقل كجاء زيد راكباً على أن الحال تكون مستمرة كخلق الله تعالى الغراب اسود فهى حالة لازمة وصفات الله السبعة المعنوية قادر ومريد وعالم وحى وسميع وبصير ومتكلم وهذه الصفات نفيها عنه تعالى كفر ولذا قال المعتزلة وغيرهم بها فان كل مؤمن وكل من نسب للايمان يشهد بهذه الصفات لكن على اختلاف فى معناها وقد علمت انه تعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ثم اختلف اهل العلم فى صفة الادراك وهى تتعلق بالمشموم والملموس والمذوق

من دون اتصال بمحالها فقيل له صفة الادراك لانها من الكمالات وقيل صفة العلم والسمع والبصر كافية عنها والله يعلم ما هو عليه ولم يرد لها لفظ يدل عليها لا فى كتاب ولا سنة واختلفوا فى صفات الفعل كالتخليق والترزيق والاماتة والاحياء فعند الاشاعرة لا يسمون ذلك صفة بل يقولون افعاله تعالى حادثة لانها تتعلق بالحادثات وقال الماتريدية ان صفات الافعال قديمة لانه فى الازل متصف بالتخليق والترزيق وغيرها من صفات الافعال . وقال الاشاعرة هذا تعلق القدرة بالاشياء قبل وجودها لا نفس الفعل وهذا الخلاف لفظى لا معنوى فان تعلق القدرة بالمقدرات قديم عندهما ولكن هذا التعلق ما اسمه . فقيل اسمه صفة الفعل وقيل لا بل اسمه تعلق القدرة وصفة الفعل هى ايجاد الموجود واعدام المعدوم وحينئذ فالمدار على اللفظ والمعنى يرجع لامر واحد

﴿ فائدة ﴾ المالكية والشافعية اشعرية وامامهم ابو الحسن الاشعرى من ذرية ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه والحنفية ماتريدية وامامهم ابو منصور الماتريدى وهما اماما اهل السنة والجماعة والحنابلة اثرية لانهم يتبعون النصوص من دون تأويل واصحاب داود الظاهرى يتبعون ظاهر النصوص حتى فى الفقه وهؤلاء كلهم على خير ان شاء الله تعالى والمعتزلة فرق منهم مجسمون ومنهم القدرية

يقولون لا قدر ومنهم من ينكر العلم بالمفردات دون الجمل من الخلق والقدرية انقرضوا لله الحمد قبل سيدنا الشافعى واما الذين يقولون بخلق القرآن وبالصلاح والاصلح والحسن ما حسنه العقل وينفون الرؤية فى الآخرة عن الله تعالى ويكفرون مرتكب الكبائر ويجعلون المنازل فى الآخرة ثلاثة ويقولون الخلق تخلق افعالها والله لا يخلق الفحشاء فهؤلاء استمروا الى مدة محمد الامين وعبدالله المأمون اولاد هارون الرشيد وانتصروا بهما وشهروا مذهبهم وحملوا العلماء عليه بالسيف ولما ظهر المعتصم بن الرشيد فلم يسأل عن هذه الشرور فضعف حالهم . ثم لما ظهر المتوكل اظهر المذهب الشافعى رضى الله عنه ومذهب اهل السنة والجماعة ومحق الله المعتزلة ومزقهم كل ممزق ولم يبق منهم الا افراد نادرة وكانوا من اتباع سيدنا ابى حنيفة فى الفقه دون الاعتقاد ولم يزل الى الان فيهم اهل اعتزال وسموا انفسهم اهل العدل . واما الجبرية فانهم ينفون الكسب عن العبد وربما اسقطوا عنه الكلف الشرعية لانه لا فعل له عندهم وعلى مذهبهم الاباحة القرندلية فعندهم لا حلال ولا حرام ولا كلفة . واما الجهمية فانهم يقولون لا يضر مع الاسلام ذنب كما لا ينفع مع الكفر عمل فالايمان عندهم كاف عن كل امر

لكنهم يتعبدون ومنهم من يقول اذا عرف العبد ربه لم يلزمه شيء بعد ذلك والتكليف لاهل الغفلة والحجاب . واما الرافضة فانهم اقسام لخفهم من يفضل علياً على كل الصحابة وباقى فرقهم لايخلو عن مكفر كقذف عائشة رضى الله عنها وغلط جبريل فى النبوة والحلول فى على وجعفر وقذف الصحابة واهل الخفة منهم والرفق يتعبدون عبادة من غير دليل صحيح.واما الزنديق فهو الذى لايتدين بدين.واما الملحدون فهم الذين يؤولون القرآن برأيهم الفاسد مثل صم بكم عمى يقولون صم عن غيره بكم عن غيره عمى عن غيره والآية واردة فى ذكر المنافقين فيخرجون القرآن عن مواضعه الواردة ويسمونهم الباطنية فنسأل الله تعالى الحفظ والسلامة وان يقبضنا اليه غير مفتونين حتى نلقاه على احسن حال انه اكرم الاكرمين.

القاعدة التاسعة

فى كلمة التوحيد

اعلم ان كلمة التوحيد لا اله الا الله جامعة للصفات العشرين السابق ذكرها الواجبة له تعالى لان معناها لامعبود الا الله اى لامعبود بحق موجود الا الله ويلزم من كونه متصفاً بذلك ان يكون غنياً عن كل ما سواه وان يكون كل الكون يفتقر له تعالى

لان هذا وصف الاله لانه مأخوذ من اله كعلم او أله كضرب اذا عبد فيكون معناه المعبود او مأخوذ من لاه اذا ارتفع واحتجب فيكون معناه الرفيع الرتبة المحتجب بعظمته عن ادراك الخلق له تعالى واصل الاله اسم لكل معبود ثم غلب شرعا على المعبود بحق وليس هناك الا فرد واحد وهو الله تعالى قال الشافعى رضى الله عنه من تعلقت همته بغير موجود فهو معطل ومن تعلقت همته بموجود محصور فهو مجسم ومن تعلقت همته بموجود غير محصور فهو موحد وسئل رضى الله عنه عن دليل التوحيد عقلا فقال اتحاد الصوت مع اختلاف الاصوات دليل على انه واحد واجتماع اربع طبائع فى جسم متضادة مع ائتلافها على بقائه دليل على انه واحد ومعناهما انه تعالى خلق الخلق على شكل واحد فى كل حيوان فاختلاف اصوات الخلق مع اتحاد الخلق فيهم دليل على تصرف قادر مختار وان الخلق ليس له اثر والا لوجب اتحاد الاصوات لاتحاد مخرجها وهذا مثال يهتدى به الى امور كثيرة من تصرفه تعالى فى الخلق بما يشاء ويختار وكذا يقال فى اربع طبائع متنافرة وقد اتفقت على حياة جسم الحيوان مع ان كل طبيعة قاتلة ثم الفها تعالى على نفع الحيوان وذلك دليل على وحدة المتصرف وعلى سعة قدرته وعظيم احاطته

وانه فاعل مختار ليس لمراده مانع يمنعه لامانع لما اعطى الله ولا معطى لما منع الله اذا علمت ان كلمة التوحيد تدل على غناه تعالى فخذ منها صفة الوجود والقدم والبقاء والقيام بالنفس ومخالفته للكائنات والوحدانية والحياة والسمع والبصر والكلام وكونه حياً سميعاً بصيراً متكلماً واذا علمت انها تدل على افتقار ما سواه له تعالى فخذ منها القدرة والارادة والعلم وكونه قادراً مريدا عالما لان الكون لايفتقر الا لمن اتصف بهذه الصفات وربما دخل الوجود مع الوحدانية فى الشق الثانى ولما كانت كلمة التوحيد متضمنة للصفات الواجبة جعلها الشارع عنوانا على الاسلام بحيث لايقبل الا بها وكذا بما دل عليها عند بعض العلماء وهى باب الله الموصل لحضرته وفى حديث ضعيف لا اله الا الله حصنى من دخله امن من عذابى ومعناه صحيح وان كان فى سنده مقال

واعلم ان الشارع جعل قانوناً عربياً للكلمات العربية فلا بد من مراعاته من مد لا واظهار همزة اله وهائه وتشديد الا واظهار مدة لفظ الجلالة والهاء ولا تغيرها عن قانونها الشرعى ولا تغتر بما عليه اهل العصر من الاختصار لبعض هيئة حروفها فان الخير فى الاحسان والاتقان ولا خير فيما دخله خلل فى القلب او اللسان فاسقاط الف «لا» يوجب ثبوت اله غيره تعالى وابدال الف

اله ياء او اسقاط هائه يوجب تسميته تعالى بغير لفظ الله وتخفيف الا يفسد المعنى الذى وضعت هذه الكلمة لاجله واسقاط هاء الله يوجب التسمية بغير الاسم المشروع وكل ذلك خلل ومن رضى لنفسه بالخلل فهو مفرط فى نفسه ومتبع هواها ولا بد من مراعاة معنى الاستثناء بالقلب قبل التلفظ به ليتم لك نظام التوحيد. واعلم ايها الذاكر انك حالة الذكر جليس الحق فقدر انك وزير السلطان فانظر كيف يجالس الوزير الملك واذا نظرت انك من اقل جنده فانظر كيف تجالسه وتخاطبه واذا عمى الامر عليك وكنت جامد الذهن بعيد الفهم فانظر كيف ادبك فى الصلاة فاجعل حالة الذكر كحالة الصلاة لانها ذكر فاذا تاملت ذلك ورسخ فى قلبك جعل الحق قلبك طوراً لاسراره وافاض عليك انواره ووسع صدرك لمعرفته وهيئك لحكمته واحذر تقليد اهل الغرور ومن يعتمد على عقله فحينئذ تكون كحمار الرحى يدور ثم يرجع لمكانه فيضيع سعيك وانت فى مكانك لم تبرح منه والتزم ثياب الذل فى ذكرك تكن اقرب من غيرك لتلقى انوار المعارف الربانية واعلم انه تولع كثير من الناس بادخال لفظ اللاهوت فى كلامهم وهذا من الفاظ اهل الكتاب يريدون به الاله فلا ينبغى التمسك بما لم يرد فى شرعنا ولاسيما انهم قالوا حل اللاهوت فى الناسوت

وارادوا بذلك ان الاله حل فى جسم عيسى وظهر بصورة الانسان فلا يليق التكلم بشيء نشأ عنه كفر . واعلم ان جملة محمد رسول الله يجب معرفة معناها وانه جاءنا من عند الله تعالى بالقرآن العظيم ويجب الايمان بكل الانبياء لان رسالته صلى الله عليه وسلم تضمنت رسالة غيره ونبوة الانبياء فيجب الايمان بالانبياء عليهم الصلاة والسلام والايمان بالملائكة الكرام عليهم السلام والايمان بالكتب السماوية وباليوم الآخر وما يقع فيه من الحساب بعد النشر والحشر وبالصراط والميزان والصحف والجنة والنار وبخلود اهلها وبالحوض والشفاعة وبسلامة اهل الايمان من الخلود فى العذاب ان عذبوا وباظهار العدل فى الخلق وبرؤيته تعالى للمؤمنين كما يليق به تعالى وبعذاب القبر ونعيمه والسؤال فيه عن التوحيد والرسول صلى الله عليه وسلم فكل هذه الاشياء جاءت بها الرسل فيجب الايمان بها وهى من امور الغيب جاء بها الصادق فالايمان بها واجب ثم الايمان بالانبياء يوجب الايمان بصدقهم وامانتهم وعصمتهم وانهم على اكمل حال ظاهر وباطن لان الله تعالى عالم وقادر فلا يرسل لعباده رسولا يبلغ عنه حكمه الا كامل العلم والمعرفة حسن الخلق والخلق والصوت حليماً رحيماً كريماً شريف النسب معظماً فى قلوب امته ليرغبوا فى الاتباع وتقوم حجة الله

عليهم فسيد الرسل اعظم الناس خلقاً وخُلقا وحلماً وعلما وعقلا وفهما ولطفا وكرما واوسعهم صدرا وقلباً وكفانا بيانا لعظيم قدره كتاب الله العزيز المصرح برفعة شأنه لقوله تعالى ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ اكد الحكم واتى بلفظ على الدالة على تمكنه كالمستعلى على الشيء ونوّنه لتعظيمه ثم وصفه بعظيم للدلالة على انه امر لا يدرك ففى هذه الآية من الاعلام برفعة مقامه ما لا يحيط به الا من منحه واعطاه ومنّ عليه وحباه فسبحان من اختاره واصطفاه وكقوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فوصفه بانه من انفسهم وهم يدعون كمال الشرف فى النسب والحسب وعرفهم بانه من جملتهم ليس هو من جنس لا يعرفونه او مجهولا يتهمونه بل عرفوه بالصدق والعفاف والامانة وكرم الاصل وشرف النفس فلا يليق بهم الاعراض عنه ثم بين انه يعز عليه مشقة امته لفرط رحمته بالخلق والكمال لطفه ورأفته فيحب لهم السلامة والنجاة من كل مكروه وانه حريص شديد الاعتناء بمنافعهم وهدايتهم ورشدهم وانه رؤف ورحيم بالمؤمنين ومفهوم انه شديد على الكافرين وهو كذلك فانه جامع لوصف الكمال من معاداة اعداء الله وموالاة اوليائه وهذا وصف

الكمل من الخلق لا تأخذهم فى الله لومة لائم وكقوله تعالى{محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم} الآية ومدح اتباعه مدح له لانهم تلقوا تلك الانوار من نوره واهتدوا بهديه فهو الواسطة فى وصفهم با لكمال فكمالهم ناشيء عن كماله وقد وصف سبحانه وتعالى اصحابه بصفات الكمال واخبر انه تعالى ذكر ذلك لاهل الكتاب ونبههم على فضيلة اتباع هذا الرسول المكرم وذلك زيادة فى رفعة شانهم وان لهم عناية عظيمة من قبل الله تعالى وكقوله{تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} الصلاة من الله رحمة خاصة تدل على اللطف والاكرام ثم فى هذه ما لا يدرك من تعظيمه والاعلام برفعة قدره فانه تعالى اكد الحكم بان وعطف الملائكة على اسمه الكريم للدلالة على اندراج صلاتهم عليه فى ضمن صلاته تعالى واخبر بجملة فعلية تدل على تجدد ذلك وعرف النبي بال فكانه علم بالنبوة ثم امر العباد بالصلاة عليه تبعاً لصلاته عليه وزادهم لفظ السلام المؤكد بالمصدر فان اريد بالتسليم التحية فحكمته ظاهرة حيث ان السلام تحية امته وان اريد به الانقياد لامره ونهيه فلانهم المكلفون بطاعته وعلى كل فالمراد يشير لرفعة قدره وعظيم مجده وفخره وكقوله تعالى{وان تطيعوه

تهتدوا﴾ وقوله تعالى ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ وبالجملة ففضله عليه الصلاة والسلام جلى ظاهر ثم الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معظمون موقرون يجب الايمان بهم من غير حصر لعددهم لان النصوص الواردة فى عددهم انهم مائة الف واربعة وعشرون الفاً او مائتا الف واربعة وعشرون الفاً الرسل منهم ثلاثماية وثلاثة عشر او اربعة عشر او خمسة عشر نصوص لم تصح فلا يعتمد عليها كما ان الكتب لم يصح عددها من ماية واربعة او اربعة عشر. فنؤمن ان الله ارسل رسلا وانزل كتباً عدة والمعلوم فى كتاب او سنة يجب تفصيله والمجمل يكفى فيه الاجمال. ويجب الايمان بالملائكة اى بوجودهم وانهم اجسام نورانية قادرون على التشكل ﴿لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وانهم محفوظون بحفظه تعالى. وما يرويه اهل القصص من خيانة هاروت وماروت فهو من الموضوع. واما ابليس فانه من الجن لا من الملائكة. وانما دخل فى الامر بالسجود لانه كان مع الملائكة فلفظ الملائكة من باب التغليب. ومن قال انه ملك فهو محجوج بان له نسلا والملائكة لا يوصفون بذكورة ولا انوثة فمن وصفهم بالانوثة كفر لانه قول المشركين القائلين بانهم بنات الله تعالى وهم بنو مليح بن فرق من العرب

لا كل العرب قال تعالى { وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون } وقال تعالى { يخافون ربهم من فوقهم وقال تعالى { لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون } فشهد الله بعصمتهم فهم إمناء على وحيه وسفراء الى خلقه لم يركب فيهم شهوة. اصطفاهم لخدمته ووظف لهم وظائف كما حكى عنهم بقوله تعالى { وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون }. وقوله تعالى { أتجعل فيها من يفسد فيها } الآية ليس هو للاعتراض وانما على سبيل الاستعطاف والاسترحام لكراهتهم للمعاصى التي وقعت من الجن فى الارض قبل خلق آدم عليه السلام وقد جعلهم الله تعالى حفظة لبنى آدم وكتبة وخدما فى مصالح الارزاق والامطار والسحاب وغير ذلك وفى نفخ الارواح فى الاجنة وقبضها عند الموت وذلك ليس لحاجة منه لهم بل هذا عبادة شرعت لهم كما اقام بعضهم فى السجود وبعضهم فى القيام أو الركوع او التسبيح وهم اكثر خلقه قال تعالى { وما يعلم جنود ربك الا هو } وفى السنة اطت السماء وحق

لها ان تئط ما فيها قدر راحة الا وفيها ملك ساجد او راكع وصورهم مختلفة ولهم اجنحة ورؤس متعددة وصور عظيمة فسبحان من احاط علماً بكل ذلك ولا تقدر بنو ادم على رؤيتهم الملكية الا الانبياء. فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على صورته مرتين مرة فى الافق بين السماء والارض فارعب ومرة عند سدرة المنتهى وفى غير ذلك كان يأتيه على صورة آدمى وتارة يسمع صوته ولا يراه وتارة يلقى الوحى فى روعه اى قلبه من دون رؤية ولا صوت وتارة يسمع له صلصلة كالجرس وهذا النوع من الوحى كان اشد عليه من غيره وكانت تأخذه البرحاء عند الوحى بالقرآن قال تعالى ﴿ انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ﴾ وورد فى شمائله عليه الصلاة والسلام انه كان يتحدر جبينه عرقاً وقت الوحي فى اليوم البارد من ثقل الوحى وورد انه لما نزلت عليه سورة الفتح عند مرجعه من الحديبية عام ستة من الهجرة فى برك الغمام مكان قبيل عسفان وكان راكباً على ناقته العضباء فكادت تبرك به صلى الله عليه وسلم من ثقل الوحى زاده الله شرفاً وكرماً واباح روضته الشريفة سحائب الصلوات وهو اطل البركات ونظمنا فى سلك محبيه واهل وده وموالات آله واصحابه صلى الله عليه وعليهم اجمعين آمين والحمد لله رب العالمين

لسيدنا المؤلف نفعنا الله بعلومه رسالة بخلق الافعال بهية وعقيدة سنية الحقناهما بهذه { الدرة الوضية } رغبة بزيادة نفع البرية . وهذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بالايجاد والابداع والتأثير . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاءنا بالكتاب المنير . وعلى آله وصحبه الداعيين الى الرشد والهدى بكل اتقان وتحرير { وبعد } فان مسئلة خلق الافعال وتأثير الاسباب فى المسببات قد اشتهر فيما سلف من الزمان عند اهل العلم على اربعة اقوال اختلف فيها العقلاء احدها مذهب الفلاسفة يقولون ان الاسباب مؤثرة بطبعها وقوتها كالنار تحرق بطبعها والسحر يؤثر نفعاً اوضراً بطبعه وقوته وهذا كفر فانه يثبت ربوبية الاكوان والمؤثر هو الرب الخالق تعالى قال تعالى { افمن يخلق كمن لا يخلق } اشارة الى ان الخلق من صفات الرب لا من صفات الاكوان والمحدثات

ثانيها قول المعتزلة انها تؤثر بقوة جعلها الله بها ولو سلب عنها تلك القوة لم تؤثر وهذا خروج عن ظواهر النصوص الشرعية وليس بكفر لان فيه الاسناد لله تعالى لكنه لما توقف على وجود السبب والاسناد للسبب كان خارجاً عن قانون الشريعة فانه

تعالى فاعل مختار يخلق بالسبب وبغير سبب قال تعالى { وربك يخلق ما يشا ويختار . وخلق كل شيء فقدره تقديراً . والله خلقكم وما تعملون . وينشيء السحاب الثقال }

ثالثها قول اهل السنة والجماعة ان المؤثر فى الاسباب والمسببات هو الله تعالى ولا تأثير لشيء بشيء وانه سبحانه وتعالى رتب المقارنة بين الاسباب ومسبباتها وستر سر الربوبية باظهار الاسباب وحكمته ان الخلق لا تقدر على مشاهدة اسرار الربوبية فسترها باظهاره الاسباب لتسكن قلوب العباد لما هو من جنسها وذلك من لطفه وفيها اسرار غامضة { يضل من يشاء ويهدى من يشاء }

رابعها ان المؤثر هو الله تعالى وحده لكن بين السبب والمسبب تلازم عقلى فحيث وجد السبب وجد المسبب وهذا جهل بما ثبت فى الكتاب والسنة من خرق العادة فانه تعالى يخرق العادة لانبيائه واوليائه كما خرق العادة لابرهيم عليه السلام فكانت النار عليه بردا وسلاما وكما وقع لموسى وعيسى وغيرهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام وهذا مشهور لا ينكره عاقل .

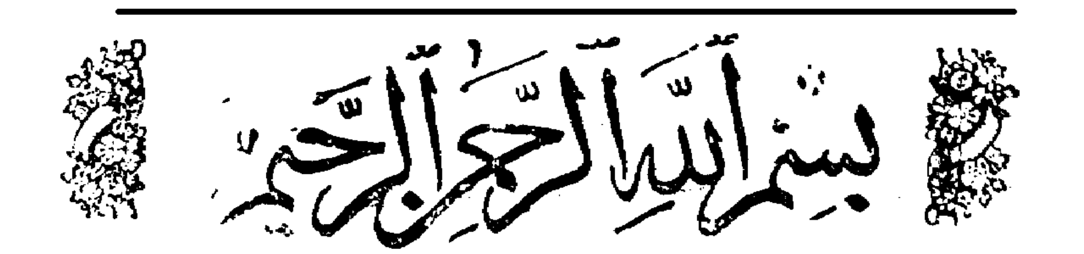
واعلم ان استدلال المعتزلة على مذهبهم بقوله تعالى { قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم } فى غير محله ولا دلالة فى الآية لما قالوا ولا بطريق التخييل والتوهم بل ذلك مجرد وهم

حصل لهم لا همالهم قانون الكتاب العزيز فان صيغة الامر فى كتابه تعالى تأتى على جملة معان منها الوجوب كقوله تعالى﴿ اقيموا الصلاة﴾ ومنها الندب كقوله تعالى﴿فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً﴾ ومنها الاباحة كقوله تعالى﴿واشهدوا اذا تبايعتم﴾ ومنها التسخير كقوله تعالى﴿واوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً﴾ومنها التكوين كقوله تعالى﴿ أتيا طوعاً اوكرهاً قالتا اتينا طائعين﴾ومنها التهكم والاستهزاء كقوله تعالى﴿ذق انك انت العزيز الكريم﴾ومنها التحويل والانتقال من طور الى طور كقوله تعالى﴿ كونوا قردةً خاسئين﴾وقوله﴿كونى برداً وسلاماً﴾ وقوله ﴿قلنا ياارض ابلعى مائك وياسماء اقلعى ﴾ وهذه الآيات ونحوها عبارة عن تحويل الشئ من طور الى طور وقد حول الله تعالى طبع النار من الاحراق الى طبع آخر وهو البرد والسلامة من الهلاك فليس فى الآية دلالة على ان النار تؤثر بقوة وضعها الله فيها بوجه من الوجوه وانما الحق تعالى اخمدها واطفاها وغير طبعها وخرق العاده وعبر عن هذا بالآية الكريمة وانت خبير بان العبد فيه قوة الخير والشر ويريد احياناً ان يفعل شيأ فلا يستطيعه ويعجز عنه فوجب ان يرد الامر كله لله تعالى وهذا الاعتقاد يوهم الشركة وان السبب يؤثر مع الله تعالى فى المسبب ويوهم ان الله تعالى يتوقف صنعه

على وجود السبب فكل ذلك باطل فان الماء الذى هو مادة بعض الاشياء والنار كذلك قد خلقهما الله بلا سبب فالواجب علينا اسناد كل شيء لقدرته تعالى وحده واعلم ان تتبع المشتبه من الآيات وترك المحكم منها مذموم يوقع فى الضلال قال تعالى ﴿هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾ الآية فذم سبحانه وتعالى الذين يتبعون المتشابه ويتركون المحكم ومدح الذين يأخذون بهما وهذه الآية اعنى قوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ محكمة ظاهرة الدلالة واضحة فوجب العمل بها والذى لم تتضح دلالته فهو متشابه يجب الايمان به انه من عند الله نسلم ونرد الامر الى الله تعالى فى المراد منه والكلام فى هذا يحتمل كثيراً من القول والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

تمت الرسالة الرائقة ويليها العقيدة الفائقة





اعلم ايها السالك ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة انه اول واجب عليك معرفة الله تعالى جل جلاله لقوله تعالى { فاعلم انه لا اله الا الله }. فوجوده تعالى حق واجب لذاته لا يقيد بزمان ولا مكان. كان الله ولا شيء معه ولم يزل على ماهو عليه مقدماً في ذاته وصفاته واسمائه وهو قديم في ذاته باق لا اول لوجوده ولا آخر { هو الاول والآخر والظاهر والباطن } لا مدخل للعقول والاوهام في ادراك حقيقة قدمه وبقائه كما لا تدرك حقيقة كنه ذاته وصفاته { لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير. وما قدروا الله حق قدره } انما دخلت الاوهام على النفوس في معرفته سبحانه وتعالى من تعلق القلوب بالزمان والمكان في وجوده تعالى. وقد عرفت انه تعالى كان قبلهما وقبل كل حادث. فالكل في قبضة قهره { وهو القاهر فوق عباده }. فهو فوق كل شيء بقهره وعظمته. محيط بكل شيء { والله من ورائهم محيط . واحاط بما لديهم. ولا يحيطون به علماً }

غاية ما بلغه الكاملون في معرفته تعالى انه ذات لا تدرك وان

العجز عن ادراكه هو عين المعرفة تفكروا فى آلائه ولا تفكروا فى ذاته . الكون محجوب عن سبحات الحقيقة مضروب عليه بسور الاحاطة والقهر والاحدية المنزهة عن التعدد فى الذات والصفات والافعال. هو الذى هداك اليه { وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله } دلك بكتبه ورسله وقواك بعنايته وايدك بالعقل المستمد من نور الشريعة المطهرة

وجود غيره منطمس بظهوره تعالى كما قيل الكون ظلمة وانما انار بظهور الحق فيه فالكون لولا نور الحق تعالى لبقى فى العدم . ولولا امداده الدائم عليه لما بقى مستمراً. وجود الحق سبحانه وتعالى واجب لذاته من ذاته ونور وجوده تعالى فائض على الاكوان . فوجود الاكوان مقيد بالعدم السابق واللاحق والفقر والعجز والفقد والاضطرار. وبهذا الاعتبار يقولون الوجود واحد وهو وجود الحق تعالى

نزه الحق سبحانه وتعالى عن الحلول فى الحادثات فانه كان قبلها ولم يزل على ما هو عليه سبحانه

والتغيير عليه سبحانه ممتنع لان التغير وصف الحادث اذ المتغير مفتقر لمن يغيره { والله هو الغنى الحميد }

وكما يجب له تعالى وحدة الذات والصفات يجب له تعالى

وحدة الافعال . فلا فعل لغيره على الحقيقة وانما افعال العباد منسوبة اليهم لوجود المباشرة فلهم منها مجرد النسبة والاكتساب فقط وعليهما وقع التكليف والتعبد . الكون كله مظهر لافعاله تعالى فهو الفاعل المختار { وربك يخلق ما يشاء ويختار } وارادة الخلق من جملة افعاله سبحانه « وما تشاؤن الا ان يشاء الله . والله خلقكم وما تعملون . وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى »

الخير والشر كله بقدر الله تعالى « قل كلٌ من عند الله » انما تركت نسبة الشر اليه تعالى على سبيل الادب والتعبد « ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك » والكل فى الحقيقة راجع اليه تعالى « هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه . وان الى ربك المنتهى . ان الى ربك الرجعى » لا تتوهم انك ترجع اليه من غيره وانما رجوعك اليه سبحانه وتعالى . منه بدأ الامر واليه يعود . انت دائماً تنتقل من قدر الله الى قدر الله لا يماثل الحق سبحانه وتعالى شيء بوجه من الوجوه لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الافعال « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » كل اسم تسمى به الحادث مماثلاً لاسمه كالموجود والقديم والسميع والبصير والرؤف والرحيم ونحوها فانما هذا مجرد اسم والحقائق مختلفة . كل ما قام

فی وهمك من الاشكال والصور والحقائق فاطرحه من ذهنك فانه حادث مثلك «وماقدرواالله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون »

نزه الحق سبحانه وتعالى عن كل ما يوهم الجسمية اوالمكان او الحدوث ٠ وفوض علم الحقيقة له تعالى فی المتشابه نحو قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى. يد الله فوق ايديهم ٠ ويبقى وجه ربك » هذا مذهب السلف واماالخلف فانهم يؤولون كل لفظ بحسب ما يليق به « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فی العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » هو القائم بنفسه الغنی عن خلقه لايحتاج لمن يكمله ولا لمن يوجده ولا يقوم بغيره « يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنی الحميد »هو الغنی المطلق وانت الفقير له فی كل حال على الدوام. كل الحقائق متوجهة له تعالى بالافتقار والذل والخضوع « ثم استوى الى السماء وهی دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً اوكرهاً قالتا اتينا طائعين »

« وان من شیء الا يسبح بحمده » الاكوان شاهدة بانه تعالى واحد فی ذاته وصفاته وافعاله « قل لو كان معه آلهة كما

يقولون اذاً لا بتغوا الى ذى العرش سبيلاً . لو كان فيهما آلهة الا الله لفسـدتا . ما اتخذ الله من ولد وما كان معـه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه و تعالى عما يصفون»

ليس معه منازع ولا شريك فى الربوبية ولا فى الالوهية ومن ادعى ذلك اهلكه الله سبحانه وتعالى فى اجله المقدر له «ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين »

سلب سبحانه وتعالى اسم التصرف فى شيء من الاكوان عن قدرة العباد فلا ينفذ فى الكون الا ما انفذه فيه على حكم مراده المطابق لعلمه قدراً .وزمناً. وصفة. ومكاناً. قال سبحانه وتعالى لاكرم خلقه عليه افضل الصلاة والسلام « ليس لك من الامر شيء » انما ينفذ تصرف العبد فى كون من الاكوان اذا اوجد الله فيه قوة على ذلك فالقدرة منـه تعالى وهذا هو الاذن. {من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه} كل الاكوان بارزة عن قدرته تعالى فهو الذى اوجب الاشياء كما ارادها لوقتها {هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه } لا تتعلق القدرة والارادة بالقديم الواجب ولا بالمعدوم المستحيل للزوم انقلاب الحقائق او تحصيل الحاصل وانما يتعلقان بكل ممكن لذاته

الله قادر على كل ممكن وان عظم امره فى العين والعقل لانه لا حصر على قدرته تعالى فكل ما دخل فى لفظ لامكان فهو فى قبضة قدرته سبحانه وتعالى « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » لا يحيط مخلوق بحقيقة صفاته تعالى كما لا يحيط بحقيقة ذاته . وانما تعرف الصفات بمتعلقاتها كالايجاد والاعدام والتخصيص بالزمان والمكان والمقادير والخواص المختلفة الانواع لا يدخل على صفاته تعالى قوة ولا ضعف ولا كثرة ولا قلة فالكون باسره فى جميع الازمنة يرجع الى الله تعالى ايجاداً وامداداً فلو سلب امداده من الكون لانطمس وعاد ظلمة كما كان . الاكوان تتجدد بامره تعالى وهو تعالى لم يزل فى ازله كما كان اذ التغير محال « والله على كل شئ قدير » احاط بكل شئ علماً واحصى كل شيء عدداً فهو العليم بما كان وبما يكون وبما فى السموات العلى والارضين السفلى وما بينهما مما ظهر لنا وغاب عنا على الاجمال والتفصيل فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة اينما كانت وحلت على ممر الزمان « الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » « عالم الغيب والشهادة »

العلم يتعلق بالواجب والجائز والمستحيل والموجود والمعدوم وبما لا تتناهى كالاعداد ونعيم الجنان فيعلم سبحانه ذاته تعالى

كما هو «والله من وراءهم محيط . وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى»

الغيب ما غاب عنا. والشهادة ما شهدناه. والسر ما خفى عنا. والعلانية ما ظهر لنا. والكل عنده تعالى سواء { ونحن اقرب اليه من حبل الوريد. ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون } الله معك بعلمه. واحاطته. وسمعه. وبصره. وقهره. وتصرفه. يعلمك كما انت عليه. ويسمعك ويبصرك كذلك وانت فى اسر قهره واحاطته. { قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن } قربك منه قرب طاعة وذل وخضوع. وقربه منك قرب رحمة واحسان. واحاطة وقهر. وسمع. وبصر. على حسب منازل الالفاظ. نظرك اليه العبودية له تعالى. ونظره لك على حكم قربه منك. كل نص اوهم تجدد علمه كقوله تعالى { ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين } محمول على ظهور ما فى علمه لعباده. تحقق بان سمعه تعالى وبصره منزهان عن الجوارح والخفا والقرب والبعد ونحوها من صفات الحادثات. فالقريب والبعيد فى الامكنة والازمنة والظلمة والنور عنده سواء. { يا بنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة او فى السموات او فى الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير }

لا تطمع في ادراك حقيقة علمه وسمعه وبصره وغيرها من كمالاته. فانه لا يعلم ما هو عليه الا هو تعالى. انما حجبك لانك مقهور. ومهما بلغت من الكمالات فلا تطيق اسرار الالوهية الا بحسب ماهيتك له واودعه فيك. فاعلم انك عاجز. تحقق بوصفك اللازم لك من العجز والفقر والفقد والجهل والذل ونحوها. تعرفه بكمالاته الواجبة كالقدرة والغنى والعلم والعزة ونحوها من كمالاته تعالى. من عرف نفسه عرف ربه. هو الحي الدائم الابدي. وحياته تعالى من ذاته. لانه الغني والحياة صفة. من اتصف بها وجب اتصافه بالادراك كالسمع والبصر ونحوها من صفات الكمال. اذا خلعت عنك مالا يليق بك من الصفات وتجملت بوصف العبودية البسك من انوار كمالاته اوصافاً حميدة على حسب القابلية والاستعداد { ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكى من يشاء }

ما من كمال الا وعند الله ما هو اعظم منه { قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا } انت قابل لكل كمال بتوفيق الله تعالى الا ما انسد بابه عنك كالنبوة { الله يعلم حيث يجعل رسالته } فهي وغيرها من محض الفضل. لا تظن ان امداده تعالى قاصر عليك او على

بعض الاشخاص بل فضله واسع يشمل كل من اراد له بذله بحسب السابقة « كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً »

كلامه تعالى النفسي قديم كسائر صفاته واسمائه. وهو منزه عن الحروف والاصوات والمخارج والالفاظ واللغات وجميع صفات الحروف. لان القديم لا يتصف بصفة الحوادث. ادراك حقيقة كلامه القديم ممتنع كسائر صفاته تعالى. وانما يستدل عليه بما دلنا عليه من الكتب السماوية كالقرآن العزيز. والتوراة. والانجيل. والزبور. والصحف المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فالقرآن الكريم كلامه تعالى عبر عنه باللغة العربية. والتوراة كلامه تعالى عبر عنه باللغة العبرانية والانجيل كلامه تعالى عبر عنه باللغة السريانية. فالكلام واحد قديم. وانما اختلفت العبارات عنه. ولا يختلف هو. لما كان القديم لا يقوم بالحادث اوصل الله تعالى كلامه الى رسله بما يقدرون على حمله من جنسهم. فظهر سر كلامه في الحادثات. ولا يكون الا بحرف وصوت والفاظ ولغات. انما تلقى جبريل عليه السلام كلامه تعالى تلقياً روحياً. او نقله من اللوح. او بواسطة نداء يدل عليه. اذ لا وصول الى فهم كلامه تعالى الا بواسطة.

ولما كان ايصال سر كلامه تعالى الى الحادثات شديداً جعل الحق جبرائيل عليه السلام واسطة بينه وبين انبيائه عليهم الصلاة والسلام ليخف سر الوحي عليهم لقوله تعالى { انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً . لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله }

ما قيل فى جبريل عليه السلام يقال فى الكليم سيدنا موسى عيه السلام {وكلم الله موسى تكليما} فانه نودي من الشجرة لا يقال فى الكتب المنزلة حادثة او مخلوقة تنزيهاً لها عما يوهمه اللفظ لان كلام الله تعالى يطلق عليها كما انه يطلق على المعنى القديم اما بطريق الاشتراك او على الحقيقة والمجاز وانما الكتب منزلة من عند الله تعالى كما ورد فى الكتاب العزيز فيجب علينا الاتباع قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى . الالفاظ فى كل الكلام حكاية لكلام غيرك . وليس ما تتلفظ به هو عين كلام غيرك بل لفظك دال على ذلك فقط . انما يتخيل للذهن كيف يكون الكلام بدون حروف واصوات لقياس القديم على الحادث ولطلب فهم حقيقة كلامه تعالى النفسي وقد عرفت ان ادراكه ممتنع والقديم لا يشبه الحادث فافهم

والله سبحانه وتعالى منزه عن السكوت والآفة لان ذلك من وصف الحادثات لا يشغله سبحانه وتعالى شأن عن شأن فلا يشغله

سبحانه وتعالى ما يسمعه عما يبصره ويعلمه ويوجده. وهكذا سائر تعلقات الصفات {والله على كل شيء قدير. كل يوم هو في شان. وخلق كل شيء فقدره تقديرا . الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير}

كمالاته تعالى لاتتناهى. والمعرفة به تعالى تتفاوت بحسب المواهب الالهية . والعجز نهاية المعرفة. فسبحان من رضى عن عباده في وجوب معرفته بالعجز عن معرفته. المعرفة هي العبودية له تعالى بالعلم والعمل على وفق الشرع. وتزداد المعرفة بالخشية. والتعظيم على حسب الفتح {انما يخشى الله من عباده العلماء}

اذا عرفت ما وجب عليك من معرفته تعالى فاعبده مخلصاً له الدين. اذا رضى عنك رزقك الاخلاص في اعمالك. وصرف عنك نظرك الى غيره. وذكرك به عند حدوث ما يوجب بعدك عنه. وحفظك في ظاهرك وباطنك. فاستغن به في كل مهم فانه يكفيك ذلك. لا تنظر لما اعطاه لك ولا لما اعطاه لغيرك فان ما عند الله من الخير لا ينفد {ما عندكم ينفد وما عند الله باق}

الاخلاص تخصيص الحق سبحانه وتعالى بالعبادة. وهو مراتب يعطي الله تعالى كلاً منه على حسب ما قسم له منه فاجتهد فيه فان الغيب محجوب عنا. * المراقبة ان تراه ذوقا مطلعاً عليك في كل حالة فيوجب لك ذلك الحياء منه تعالى

المشاهدة ان تراه ذوقا عند كل شيء من الاكوان ومعه وفيه
ان تشاهد تصرفه فى جميع الاكوان واحاطته بها وقهره لها
لا بطريق العلم والعبارة . ولكن بالفتح والمواهب الربانية . اذا
طلبت مرتبة وانت لم تقطع ماقبلها فقد عرضت نفسك للحرمان
قائما تطلب اسرار الله تعالى من ابوابها التي اقامها لها . اذا اظهر
عليك الطاعة ونسبها لك بفضله فقد البسك حلل رضوانه . واذا
أظهر عليك المخالفة ونسبها لك بعدله فقد البسك جلباب حرمانه .
رتب لك ثوابا على طاعته التى اوجدها فيك . وهذا امر عظيم
احسانه ورتب لك عقاباً على المخالفة التى اوجدها فيك لاظهار
قهره بك . { لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون } انما ثقلت العبودية
على النفوس لحبها الظهور والعلو والتقهر لغيرها .
{ وهو القاهر فوق عباده } قال تعالى { وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون } نسئله سبحانه وتعالى ان يحسن احوالنا وان يعاملنا
برحمته واحسانه وان يديم علينا نعمته الظاهرة والباطنة وان يجمعنا
عليه وعلى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من غير فتنة وان يمنحنا بفضله
حسن الختام والمسلمين انه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين والحمد لله
رب العالمين والصلاة والسلام على اكرم خلقه وعلى آله وصحبه اجمعين .

يقول الفقير لمولاه الغنى محمد مصباح الحوت كان الله له وبالتوفيق عامله انه بتوفيق الله تعالى قد تم طبع هذه الرسالة الباهرة والتحفة النادرة الموسومة « بالدرة الوضية فى توحيد رب البرية » فبرزت روضة تبسمت ازهارها وشمسا اشرقت بتوحيد الله تعالى انوارها ملحوظة بنظر العلامة العامل والمحقق الكامل سيدنا الاستاذ صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن افندى الحوت نجل المؤلف قدس الله سره ولما بدا بدر التمام وفاح مسك الختام اتحفنا حضرة زينة الادبا الافاضل العالم العامل و الجهبذ الكامل صاحب المكرمة الشيخ مصطفى افندى نجا بهذا التقريظ النفيس فقال

مضى حوت بحر العلم وهو محمدٌ ... و الفضل مازالت له الناس تشهدُ
نعم هذه آثاره وحديثها ... حديث صحيح طيب النشر مسند
هو العالم العلامة العلم الذى ... به لطريق الحق من ضل يُرشد
تآليفه فيها لقد وجد النهى ... من النفع ما فى غيرها ليس يوجد
وهذا كتاب فى العقائد شاهد ... له بكمال فضله ليس يجحد
تمسك به واعمل بما فيه انه ... دليل لطلاب المعالى ومرشد
وماهو الا روض يمن من الرضى ... حوى خير زهر يجتنيه الموحد
فمن كان ذا عقل يجود بماله ... ليحظى به يوما ولا يتردد
على انه بالطبع اضحى ميسراً ... فمن يقتنيه يستفيد ويسعد
جزى الله مولانا المؤلف خيرما ... جزى عالمًا نفع البرية يقصد
وكافاه مصباحاً ما حسن صنعه ... بنور على طول المدى ليس يخمد